قصصهم مع القرآن

إعداد

أحمد عبد السلام — محمد عوض صالح

محمد خيري محمد — عبد الله عبد الرحمن

إشراف

محمد حسني سلامة — صالح محفوظ حسون

مراجعة وتقديم

فضيلة الشيخ الدكتور
صبري عبد المجيد

فضيلة الشيخ
أحمد سليمان أيوب

قَصَصُهُمْ مَعَ القُرآن

الطبعة الأولى
١٤٤٣ - ٢٠٢٢

مقدمة

الحمد لله والصلاة والسلام على رسوله محمد ﷺ وبعد

للقَصَصِ تأثيرٌ عجيبٌ على النفوس؛ كيفَ لا وقَدْ أَمَرنا اللهُ تعالى بقصِّ القَصَصِ على العباد، فقال تعالى: ﴿فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ١٧٦]

فإنَّ الحقَّ يتأيَّدُ بذِكْرِ شواهِدِهِ ودَلائِلِه وتَأثُّرِ السَّامِعين له، فتَأنَسُ النفوسُ بالاقتداء، وتزيدُ المنافسةُ في الأعمال، وتَستقِرُّ النفوسُ بعد تردُّدِها على الإيمان: ﴿وَكُلّٗا نَّقُصُّ عَلَيۡكَ مِنۡ أَنۢبَآءِ ٱلرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِۦ فُؤَادَكَۚ وَجَآءَكَ فِي هَٰذِهِ ٱلۡحَقُّ وَمَوۡعِظَةٞ وَذِكۡرَىٰ لِلۡمُؤۡمِنِينَ ١٢٠﴾ [هود: ١٢٠]

فما أَحْوَجَنا إلى التَّثْبِيتِ وقد زاغت قلوب!..

وهذه الرسالةُ فريدةٌ في موضوعها؛ إذ تتناوَلُ بعضَ المواقفِ والقِصَصِ لأصحابِ النبيِّ ﷺ وهم يَستقبلون آياتِ القرآن؛ كيف اهْتَزَّتْ لها قلوبُهم، وارْتَاحَتْ لها نفُوسُهم، وتحرَّكتْ لها جوارِحُهم، فعاشُوا مع القرآن تَدَبُّرًا وعَمَلاً، ومع آياتِه خُشوعًا وأَمَلًا، ومع أحكامِه خُضُوعًا وَوَجَلًا، وقد جاءتْ قُبيل أيام فضيلةٍ، لعلنا نَسْتَقِي منها العبر، ونتعايشُ مع القرآنِ، كما تَعايَشَ معَهُ الأصحابُ أَهلُ الرِّضوان.

وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه.

كتبه

أحمد بن سليمان أيوب

تمهيد

الحمد لله ربّ العالمين الذي كشف لعباده المتقين عن أسرار كتابه المبين، والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين، الذي خَصَّه اللهُ بمعجزة القرآن الكريم، وعلى آله وأصحابه، والتابعين لهم بإِحسان إلى يوم الدين، وبعد

فقد اختلفت علاقة المسلمين الأولين بالقرآن الكريم وعلاقة مَن بعدَهم، ومِن ثَمّ فقد اختلف الأثر الذي وقع على حياة هؤلاء وأولئك، وأصبح بعضُ المتأخرين يرون شيئًا مِن المبالغة في قصص تأثر السلف وتفاعلهم مع القرآن، والحق أن تأثر القوم بالقرآن يرجع إلى أشياء:

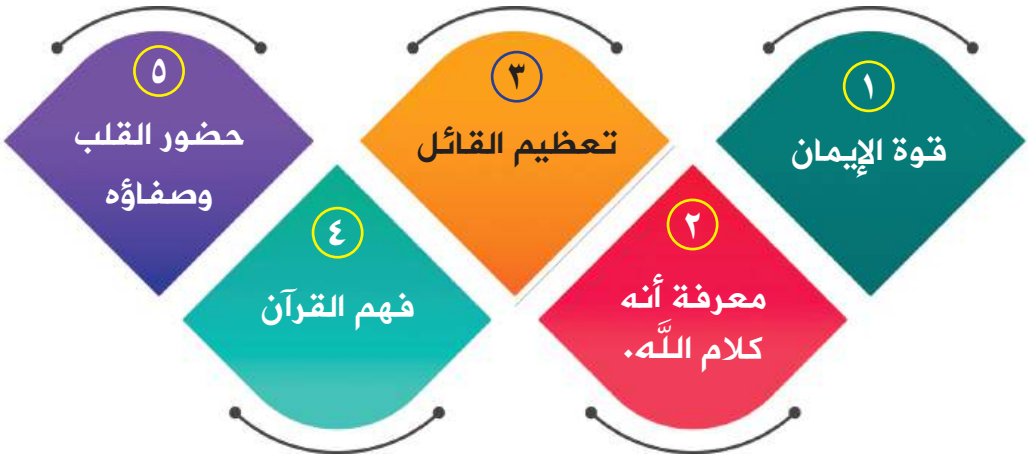

ولمّا كانت التربية بالقصص من أنجع طرق التربية جذبًا وأكثر أساليب التعليم أثرًا؛ فقد جمعنا بعضًا من القصص التي ارتبطت بالقرآن نزولًا أو تلاوةً أو تذكيرًا؛ لنقدِّم القدوةَ والمثال مِن أحوال السالفين ومَنْ عاصرهم، ونكشف بها الفارق بين أثر القرآن الكريم إذا فُهمت معانيه، وأُدْركت مراميه، وصادف قلوبًا نقيّة، وأفهامًا زكيّةً، وبين غياب الأثر إذا صادف قلوبا غُلفًا، وأعينًا عُميًا وآذانًا صمًّا لا تنتفع بآياته، ولا تستجيب لمعانيه وعظاته.

منهج العمل

تم اختيار خمس عشرة قصة مِن أحوالهم مع القرآن، وكان منهج دراستها كالتالي:

- عنوان للقصة يُعبِّر عن أحد أهم معانيها الذي ينبغي التركيز عليه.
- مقدمة قصيرة مناسبة للقصة.
- عرض سياق القصة بروايتها وتخريجها.
- إضاءات على القصَّة: نكشف من خلالها بعض اللطائف أو الملابسات التي حدثتْ فيها، أو أحوال مَن حدثت معهم، أو مَن رواها، أو مكان وزمان حدوثها..
- دلالات القصة : نذكر فيها أهم المعاني والهدايات المستفادة من القصة.
- أثر القصة في حياتي: ونذكر فيها بإيجاز الفوائد العملية والسلوكية التي يخرج بها القارئ.
- إرشادات للمربي: بعض التوجيهات والنصائح التربوية المكمِّلة لهذا الكتاب حتى يستفيد بها المُربُّون والدعاة.

توظيف الكتاب

وهذا الكتاب يصلح أن يكون منهجًا:

- للقراءة الفردية والجماعية.
- للتعرُّف على نماذج واقعية للتعامل الصحيح مع القرآن.
- للدروس العامة.
- لدرس أُسَري تلتَفُّ حوله الأسرة.
- لنشر فوائده بالصور المباشرة أو على مواقع التواصل الاجتماعي.

وأسأل اللَّه أن يجعل لهذا العمل ومن قام عليه القبول
إنه خير مدعوٍّ وأكرم مسئول.

محمد حسني سلامة

هذا القرآنُ لا يمنح كنوزه إلا لمن يُقبِلُ عليه

فليس شيءٌ أنفعَ للعبدِ في معاشِهِ ومعادِه، وأقرَبَ إلى نجاتِه مِن تَدبُّر القرآن، وإطالةِ التَّأمُّل فيه، وجمْعِ الفكْرِ على معاني آياتِه، فإنَّها تُطْلِع العبدَ على معالمِ الخيرِ والشَّرِّ بحذافيرِهما، وعلى طُرقاتِهما وأسبابِهما وغاياتِهما وثمراتِهما، ومآلِ أهلِهما، وتَتَلُّ في يدِه مفاتيحِ كُنوزِ السَّعادةِ والعلوم النَّافعة، وتُثبِّت قواعدَ الإيمانِ في قلبِه، وتُشيِّد بُنيانَه وتُوطِّدُ أرْكانَه.

[مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٥٠)]

الفصل الأول

القرآن.. وحيـــاة القلـــوب

قَصَصُهُمْ مَعَ القُرآن

١

كَادَ قَلْبِي أنْ يَطِير

هل يُمكنُ للقلوب :

- أن تخرج مِن سِجن الصُّدور الضيقة ؟!
- وتتخلص مِن أغلال الضلوع المُحْدِقة ؟!
- لتُعانق نجومَ السماء المشرقة؟!

نعم يمكنها ذلك

- إذا تخلَّصت مِن الصدأ والرَّان، وفتحتْ أقفالَها معاني القرآن..
- حينها ستُحلِّق في سماء الإيمان..
- لذَّتُها وسعادتها الأنسُ بالرحمن..

فيا أيها القلبُ الأسيرُ تحرَّر..

ويا أيها العبدُ الناسي تذكَّر..

ويا هاجرَ القرآنِ تدبَّر ..

القصة

قَدِمَ جُبيرُ بنُ مُطْعِمٍ ﷺ على النَّبيِّ ﷺ بعد وقعةِ بَدرٍ في فداءِ الأسرى، في العامِ الثاني من الهجرةِ، وكان إذ ذاك مُشرِكًا، فسمع آياتٍ من القرآن كانت سببًا لدخوله في الإسلام بعْد ذلك؛ يقول جُبَيْرُ بْنُ مُطْعِمٍ ﷺ: [قَدِمْتُ المدينة عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ] فِي فِدَى أُسَارى أَهْلِ بَدْرٍ، [وَأَنَا غَيْرُ، مُسْلِمٍ يَوْمَئِذٍ، فَأَقْدَمُ، وَقَدْ أَصَابَنِي كَرًى[1] شَدِيدٌ، فَنِمْتُ فِي الْمَسْجِدِ ، ، حَتَّى فَزِعْتُ بِقِرَاءَةِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَهُوَ يَقْرَأُ] فِي المَغْرِبِ «وَالطُّورِ، وَكِتَابٍ مَسْطُورٍ» فَلَمَّا بَلَغَ هَذِهِ الآيَةَ: ﴿أَمْ خُلِقُوا۟ مِنْ غَيْرِ شَىْءٍ أَمْ هُمُ ٱلْخَٰلِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا۟ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ ۚ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَآئِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ ٱلْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ قَالَ: كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ، وَذَلِكَ أَوَّلَ مَا وَقَرَ الْإِيمَانُ فِي قَلْبِي.[2]

إضاءات على القصة

جبير بن مطعم عندما سمع الآيات

الوصف	الوقت	مناسبة مجيئه
لم يزل مشركًا تأخذه الحمية على بني جلدته، يوالي مَن يوالون ويعادي مَن يعادون، وألدُّ أعدائه في هذا الوقت رسول الله ﷺ.	بعد غزوة بدر التي قُتل فيها سبعون من المشركين وهم أهل جبير وعشيرته وأهل دينه وملته، والذي قتلهم هو محمد ﷺ وأصحابه.	جاء ليفاوض النبي ﷺ في سبعين من المشركين وقعوا في الأسر في غزوة بدر.

ففي خضم هذه الحالة المعقَّدة يبعد أن يستمع المرء لكلام خصمه فضلًا عن أن يتأثر بكلامه.

(١) تعب شديد.

(٢) أخرجه البخاري(٣٠٥٠، ٤٠٢٣، ٥٨٥٤)، ومسلم(٤٦٣) ، وما بين المعكوفات زيادة عند الطبراني في الكبير(١٥٨٥) بإسناد حسن.

◆ ومع ذلك يستمع جبير لآيات من سورة الطور تهزّ كيانه حتى قال: « كَادَ قَلْبِي أَنْ يَطِيرَ ».

يعني: قاربَ قلبي أن يخرُجَ من مكانِه؛ لِما تضمَّنَتْه الآياتُ من بليغِ الحُجَّةِ.

وجاء في رواية: «فَأَخَذَنِي مِنْ قِرَاءَتِهِ كَالْكَرْبِ فَكَانَ ذَلِكَ أَوَّلُ مَا سَمِعْتُ مِنْ أَمْرِ الإِسْلامِ ».[1]

◆ آن الأوان للصدر أن ينشرح ﴿فَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يَهۡدِيَهُۥ يَشۡرَحۡ صَدۡرَهُۥ لِلۡإِسۡلَٰمِۖ﴾ [الأنعام: ٥٢١]

◆ آن الأوان للقلب أن ينتبه من رقدة الغافلين: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِصْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ، يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ».[2]

المؤثرات التي أسهمت في هداية جبير

- قوة الآيات[3]
- جمال صوت النبي ﷺ
- جو المسجد
- كلّ ذلك صادف توفيقًا من الله
- وقلبًا عقولاً

متى كان إسلام جبير؟

لقد بقي جبير بن مطعم في صراع مع نفسه جراء تأثير هذه الآيات العظيمة في نفسه؛ فإنه لم يسلم حينها، بل تأخر إسلامه، فقيل: إنه أسلم عام خيبر، وقيل: بعد الحديبة، وقيل: عام الفتح.[4]

قال ابن كثير[5]: وجبير بن مطعم كان قد قدم على النبي ﷺ بعد وقعة بدر في فداء الأسارى، وكان إذ ذاك مشركًا، وكان سماعه هذه الآية من هذه السورة من جملة ما حمله على الدخول في الإسلام بعد ذلك.[6]

---

(١) أخرجها ابن أبي عاصم في الأوائل(٤٩١) والسراج في مسنده(١٥١) والطبراني في معجمه(٨٩٤١) من طريق أسامة بن زيد عن الزهري عن محمد بن جبير عن أبيه به.

(٢) مسلم(٢٦٥٤) من حديث عبد الله بن عمرو رضي الله عنهما

(٣) الآيات بمثابة سياط قوية موجهة إلى العقل لتشغيله وإلى الفطرة لإحيائها، ومما يدل على قوتها أنها تبدأ بقوله (أم) متتابعة

(٤) راجع الاستيعاب لابن عبد البر (١/ ٢٣٢) وأسد الغابة لابن الأثير (١/ ٥١٥) وتهذيب الكمال للمزي (٤/ ٥٠٦)، وأما ما رواه الطبراني في معجمه (١٥٠٧) «بأنه أسلم عند ذلك» فلا يصح لأنه من رواية سفيان بن حسين عن الزهري ، ورواية سفيان عن الزهري خاصة مضعفة، فهو ثقة إلا في الزهري.

(٥) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)

(٦) تفسير ابن كثير (٧/ ٤٣٧)

دلالات القصة

من رسائل الآيات :

لو حدَّثك شخص عن قصرٍ مَشِيدٍ، أحاطتْ به الحدائق، وجـرَتْ بينها الأنهار، ومُلِئ بالفرش والأسِرَّة، وزُيِّن بأنواع الزينة..

وقال لك : إنَّ هذا القصر وما فيه من جمال قد أوْجد نفسَه، أو وُجِد هكذا صدفة دون مُوجد!!

لأنكرتَ ذلك وكذَّبته، وعددتَ حديثَه سفهًا من القول..

أفيجوز بعد ذلك أن يكون هذا الكون الواسع: بأرضه، وسمائه، وأفلاكه، ونظامه البديع الباهر، قد أوجَدَ نفسه، أو وُجد صُدفةً دون مُوجد ؟! : ﴿ أَفِي ٱللَّهِ شَكٌّ ﴾ [إبراهيم: ١٠]

- قد تقودُ الإنسانَ الضالَّ قدماه لمصلحةٍ دنيوية فيظهر له من خلالها نورُ الهداية الذي ينقذه من ظلام الضلالة.

- للقرآن قوةٌ وتأثيرٌ وسَطوة على القلوب حتى لو كان المستمع مخالفًا أو مشركًا.

ولهذا تظهر الحكمة في قوله تعالى : ﴿ وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ٱسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلَٰمَ ٱللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُۥ ﴾ [التوبة: ٦]

- أهمية الاستماع إلى القرآن وتدبره والإنصات إليه لأن ذلك يعين على الاهتداء بهديه، واتباع الحق الذي يدعو إليه.

- فهمُ معاني الآيات مفتاح باب الهدايات.

قال الطبري[١]: إنِّي لأعجب ممَّن قرأ القرآن، ولم يَعلم تأويلَه كيف يلتذُّ بقراءته؟!.[٢]

- على أُمَّةِ القرآن إسماعُ القرآن للبعيدين عن الهداية بالوسائل التي يستطيعونها : « بَلِّغُوا عَنِّي وَلَوْ آيَةً ».[٣]

فقوله ﷺ «وَلَوْ آيَةً » أَيْ آية واحدة ليسارع كلُّ سامع إلى تبليغ ما وقع له من الآي ولو قلّ.[٤] بشرط فهم المعنى، والتبليغ بالحكمة والموعظة الحسنة.

(١) محمد بن جرير بن يزيد ، أبو جعفر الطبري (المتوفى: ٣١٠هـ)
(٢) معجم الأدباء لأبي عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى: ٦٢٦هـ) (٦/ ٢٤٥٣)
(٣) رواه البخاري (٣٤٦١) من حديث عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رضي الله عنهما.
(٤) فتح الباري لابن حجر (٦/ ٤٩٨)

القرآن يزلزل الجبال الرواسي فما ظنك بمضغة صغيرة ؟! قال تعالى : ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْءَانًا سُيِّرَتْ بِهِ ٱلْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ ٱلْأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَل لِّلَّهِ ٱلْأَمْرُ جَمِيعًا﴾ [الرعد: ٣١]

قال ابن كثير: أي: لو كان في الكتب الماضية كتاب تُسيَّر به الجبال عن أماكنها، أو تقطَّع به الأرض وتنشقّ أو تكلَّم به الموتى في قبورها، لكان هذا القرآن هو المتصف بذلك دون غيره، لما فيه من الإعجاز الذي لا يستطيع الإنس والجن عن آخرهم إذا اجتمعوا أن يأتوا بمثله.(١)

قادةُ الكفر يعتبرون القرآنَ هو المصدر الأساسي لقوة المسلمين، وبقاؤه بين أيديهم حَيًّا يؤدي إلى عودتهم إلى قوتهم وحضارتهم، ولذا من المقرر عندهم قولهم: ما دام هذا القرآن موجودا في أيدي المسلمين فلن تستطيع أوروبا السيطرة على الشرق الأوسط.

لأجل ذلك يبذلون كل ما في وسعهم ليحولوا بين الناس وبين سماع القرآن : ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَا تَسْمَعُوا۟ لِهَٰذَا ٱلْقُرْءَانِ وَٱلْغَوْا۟ فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ ﴿٢٦﴾﴾ [فصلت: ٢٦]

العقل إذا صفا، وتحرَّرَ من قيود التقليد والتبعية استسلم لأدلة الحق التي تخاطبه، واستجاب لما تدعو إليه من الحقيقة التي قد تُغيِّبها بيئةُ الباطل، أو التقليد للآباء أو الأعراف الباطلة.

فإن لم تجده في هذه المواطن فسل اللهَ أن يَمُنَّ عليك بقلبٍ فإنه لا قلبَ لك.(٢)

لأدلة الحق العقلية أثرٌ عظيم في إثبات الحق والإقناع به، والقرآن الكريم زاخرٌ بهذا النوع من البراهين، التي تقررُ الإيمانَ، وتُثبِّتُ أصولَه وأركانَه.

(١) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٦٠)
(٢) الفوائد لابن القيم (ص: ١٤٨)

- أهميةُ إيصال الصورة الحقيقة عن الإسلام لغير المسلمين ؛ فقد توجد عندهم عوائق حالتْ دون وصول الحقيقة إليهم، فوصولها من مصدرها الصحيح إليهم أدعَى لقبولها.

- على الداعية ألا يستعجلَ إسلامَ الكافر أو هداية العاصي اللَّذَين دعاهما إلى الحق، فقد يلبثان في صراع نفسي وتفكير عقلي، حتى يُشرق النور في قلوبهما بعد حين إن أراد الله لهما الهداية، فجبير ﷺ لم يسلم إلا بعد سنوات، قال تعالى :

﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَن يَشَاءُ ۚ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ ﴿٥٦﴾﴾ [القصص: ٥٦]

- الآيات المذكورة في القصة بمثابة قاصمة ظهر لكل دعاة الإلحاد، وهي تفتح بابًا رحبًا من التأمل والتفكر لكل شاب شُكك في ربِّه ودينه وعقيدته.

- الإلحاد المتمثل في إنكار الخالق، شُذُوذٌ يستبشعه العقل السليم وتأباه الفطرة السوية.

أثر القصة في حياتي

أُهيئ نفسي وأستعدُّ لقبول الحق، ولو جاءني :
من صغير أو كبير أو حتى من عدوي.

فقد قال النبي ﷺ لأبي هريرة في قصته مع الشيطان:

«صَدَقَكَ وَهُوَ كَذُوبٌ».(١)

إضاءة

أركان الهداية

- القرآن.
- الفهم.
- المسجد.
- الصحبة.

عند استماعي لآية من القرآن

- أُعظِّمُ ربي.
- وأجمع قلبي.
- وأُلقي سمعي.
- وأتصوَّرُ أنني المخاطَب بها وأكون مستعدًا لتطبيقها.

قال ابن القيم(٢): إذا أردتَ الانتفاع بالقرآن، فاجمعْ قلبَك عند تلاوته وسماعه، وألْقِ سمعك، واحضرْ حضورَ مَن يُخاطبه به مَن تكلَّم به سبحانه، فإنَّه خطابٌ منه لك على لسان رسوله ﷺ.(٣)

(١) رواه البخاري (٣٢٧٥) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) محمد بن أبي بكر شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)
(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٣)

قال وهب بن منبه[1] : من أدب الاستماع: سكون الجوارح، وغض البصر، والإصغاء بالسمع، وحضور العقل، والعزم على العمل، وذلك هو الاستماع كما يحبّ اللهُ تعالى.[2]

عندما أقرأ القرآن

- أقرأه ببصري وبصيرتي .
- وأعيش معه بعقلي وكياني.
- وأجعله مرآةً لي في حالي وموجهًا لي في مآلي.
- أُقبل بقلبي على كتاب ربي، فكلما أقبلتُ بقلبي كلما ازددتُ أنسًا ولذَّة، وقربًا ونعيمًا.
- أَثِقُ ثقة تامة بأن آية واحدة من القرآن كفيلة بأن تُغيِّر حياتي متى أحسنتُ استقبالها والتعامل معها.

أوقِنُ أن القرآن حجَّة لي إذا عشتُ معه عِلمًا وعملاً، قراءة وحفظًا، وتدبُّرًا وتداويًا، ومنهجًا وسلوكًا في الحياة الدنيا.

أو حجة عليَّ : إن هجرت قراءته أو تدبره أو العمل به.

أُخصص وقتًا يوميًا لأتعلم معاني القرآن.

إضاءة

لا يجتمع : التَّلذذ بالقرآن ومزمار الشيطان في قلب إنسان.

قال إياس بن معاوية[3] : مثل الذين يقرؤون القرآن وهم لا يعلمون تفسيره كمثل قوم جاءهم كتاب من مَلِكِهم ليلاً وليس عندهم مصباح فتداخلتهم روعة[4]، لا يدرون ما في الكتاب!.[5]

قال الزَّركشي[6]: مَن لم يكن له عِلم وفَهْم، وتقوى وتدبُّر، لم يُدركْ مِن لذَّةِ القرآن شيئًا.[7]

(١) وَهْبُ بنُ مُنَبِّهٍ ، الإِمَامُ، العَلاَّمَةُ، الأَخْبَارِيُّ، القَصَصِيُّ، ثقة ، ولد سنة ٣٤هـ وتوفي سنة ١٠٠ و بضع عشرة هـ..
(٢) تفسير القرطبي (١١/ ١٧٦)
(٣) إياس بن معاوية بن قرة بن إياس بن هلال المزنى ، أبو واثلة البصرى: ثقة توفي سنة ١٢٢هـ
(٤) الرّوعة: الفزعة.
(٥) تفسير ابن عطية «المحرر الوجيز» (١/ ٤٠) وزاد المسير لابن الجوزي (١/ ١٢) وتفسير القرطبي (١/ ٢٦)
(٦) أبو عبد الله بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (المتوفى: ٧٩٤هـ)
(٧) البرهان في علوم القرآن (٢/ ١٥٥)

أُرتِّب جدولًا للقراءة في تفسير مختصر، لتكون خطوة على طريق القرب والأنس بكتاب الله.

أُسارع في الدعوة وهداية الناس بما معي من القرآن ﴿ فَذَكِّرْ بِٱلْقُرْءَانِ ﴾ [ق: ٤٥]، بشرط فهم المعنى والدعوة إليه على بصيرة.

أجعلُ دأبي التفكر والنظر الدائم في عظمة هذا الكون لِيَدُلَّني على عظمة خالقه ومدبره.

أُصحح علاقتي بالمسجد الذي هو بمثابة البيئة الإيمانية التي تربطني بنور الوحي.[1]

- أرتبطُ قلبيًّا بالمسجد، قال ﷺ: «سَبْعَةٌ يُظِلُّهُمُ اللهُ فِي ظِلِّهِ، يَوْمَ لاَ ظِلَّ إِلَّا ظِلُّهُ: ...وَرَجُلٌ قَلْبُهُ مُعَلَّقٌ بِـ [فِي] المَسَاجِدِ».[2]
- أحتسب خطواتي ذهابًا وإيابًا.
- أتعلم آداب المسجد.
- أحافظ على الصلوات في جماعة.
- أستمع وأتدبر قراءة الإمام في الصلاة.
- أقوم ببعض الأعمال لخدمة المسجد.
- أشترك في حلقة لحفظ القرآن.

أُصاحب أهل الخير فإنني لن أَعدم منهم خيرًا؛ وأتذكر الرجل الذي قالت عنه الملائكة: « رَبِّ فِيهِمْ فُلاَنٌ عَبْدٌ خَطَّاءٌ، إِنَّمَا مَرَّ فَجَلَسَ مَعَهُمْ، قَالَ الله تعالى: وَلَهُ غَفَرْتُ هُمُ الْقَوْمُ لَا يَشْقَى بِهِمْ جَلِيسُهُمْ ».[3]

(١) في سورة النور وبعد آية النور (الذي هو نور الوحي)، كأن سائل يسأل: أين أجد هذا النور؟ فتأتي الإجابة في الآية التي تليها مباشرة ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ ٱللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا ٱسْمُهُۥ﴾ [النور: ٣٦]، فمَن أراد أقرب طريق للاهتداء بنور الوحي فعليه بالمسجد.

(٢) البخاري(٦٦٠)، مسلم(١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

(٣) البخاري(٦٤٠٨)، مسلم(٢٦٨٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إرشادات للمربي

عمل منهج للمتربين في فهم وتدبر القرآن الكريم من خلال :

- تحديد كتاب في معاني الكلمات – تفسير ميسر – معرفة أسس تدبر القرآن الكريم (مع الإحالة على كتاب معتمد في كل باب)
- عمل مسابقة للمتربين في حفظ ومعرفة معاني سورة الطور.

عمل عصف ذهني للمتربين، مثال :

- اذكر آية تأثرت بها في حياتك ؟ واذكر سبب هذا التأثر ؟
- أكثر آية من سورة الطور تأثرتَ بها ؟ وما سبب هذا التأثر ؟

ربط القصة بواقع المتربي، مثال: وأنت تصلي الفجر تدبر في قراءة الإمام.

إذا صحح لك أحد من أصدقائك معلومة فاقبل منه واشكره على ذلك، ولا تتكبر عن قبول الحق.

٢

بَكى الشاهدُ..
فما بال المشهُودِ عليهِ ؟!

لقد بلغ سلطان القرآن مبلغًا عظيمًا في زلزلة النفوس وتحريك القلوب وتهييج الدموع، يدرك ذلك كلُّ مَن عاش مع القرآن بكل جوارحه، لذلك كان النبي ﷺ يتخيَّر مِن أصحابه لتلاوته أندى صوتًا، وأجملهم تلاوة، وكان يحبُّ أن يسمعَه من غيره؛ زيادة في التفكُّر والتدبُّر، ووصولاً إلى الخشوع والخضوع.

القصة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «اقْرَأْ عَلَيَّ الْقُرْآنَ» قَالَ: فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ أَقْرَأُ عَلَيْكَ؟ وَعَلَيْكَ أُنْزِلَ؟ قَالَ: «إِنِّي أَشْتَهِي [أحب] أَنْ أَسْمَعَهُ مِنْ غَيْرِي»، فَقَرَأْتُ النِّسَاءَ حَتَّى إِذَا بَلَغْتُ: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍۭ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰٓؤُلَآءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾ [النساء٤١] قَالَ: « حَسْبُكَ الآنَ[1] فَرَفَعْتُ رَأْسِي فَرَأَيْتُ دُمُوعَهُ تَسِيلُ.[2]

(١) ورد في روايات أخرى في الصحيحين: «كُفَّ أو أَمْسِكْ».
(٢) البخاري (٥٠٥٥) ومسلم (٨٠٠)

إضاءات على القصة

◆ **القـــارئ :** هـو عبـد الله بـن مسـعود ﷺ الـذي قـال فيـه النبـي ﷺ: « خُـذُوا القُـرْآنَ مِـنْ أَرْبَعَـةٍ مِـنْ عَبْـدِ اللهِ بْـنِ مَسْـعُودٍ، وَسَـالِمٍ مَوْلَـى أَبِـي حُذَيْفَـةَ، وَمُعَـاذِ بْـنِ جَبَـلٍ، وَأُبَـيِّ بْـنِ كَعْـبٍ» .(١)

وقال عنه ﷺ أيضًا: «مَنْ أَحَبَّ أَنْ يَقْرَأَ الْقُرْآنَ غَضًّا(٢) كَمَا أُنْـزِلَ، فَلْيَقْـرَأْهُ عَلَـى قِـرَاءَةِ ابْـنِ أُمِّ عَـبْدٍ» .(٣)

وتأمل قوله : «فَقَرَأْتُ عَلَيْهِ سُورَةَ النِّسَاء» لتعلم مدى تمكنه من حفظ القرآن.

ما سبب عجب ابن مسعود حين طلب منه النبي ﷺ أن يقرأ عليه القرآن ؟

تَعَجَّب ابن مسعود ﷺ من طلب النبي ﷺ حين أمره أن يقرأ عليه القرآن لأنه فهم أن المطلوب ليس تصحيح التلاوة، وإنما المقصود أن يسمع منه النبي ﷺ سماع رغبة ويتلذذ بهذا السماع.

◆ **المســتمع :** هو إمام البشرية وقائدها ومعلمها وأرقها قلبًا رسولُ الله ﷺ الذي أنزل عليه القرآن.

◆ **الآيــة التــي أبكته ﷺ :** قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَىٰ هَٰؤُلَاءِ شَهِيدًا ﴿٤١﴾﴾[النساء:٤١]

ما فائدة الاستفهام في الآية ؟

الاستفهام يشدُّ النفس وينبِّه القلب؛ يعني ماذا تكون حالك؟! وماذا تكون حالهم؟!.(٤)

---

(١) رواه البخاري (٣٨٠٨) ومسلم (٢٤٦٤) من حديث عبد الله بن عمرو ﷺ.
(٢) الغض: الطري الذي لم يتغير، وأراد بذلك طريقه في القراءة وهيأته فيها. النهاية لابن الأثير(٣/ ٣٧١)
(٣) حسن: أخرجه أحمد (٣٥)والبزار(١٢)، وابن ماجه(١٣٨) من طريق لأبي بكر بن عياش ، وأخرجه ابن أبي شيبة(٣٠٧٦٢) وأحمد(٤٢٥٥) وابن حبان(٧٠٦٧) من طريق زائدة بن قدامة، كلاهما (أبو بكر، زائدة) عن عاصم بن أبي النجود عن زر عن عبد الله بن مسعود به.
(٤) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٣٤٥)

دلالات القصة

إضاءة
- شاهدٌ عظيم.
- في قضية عظيمة.
- بين يدي العظيم.

- ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء: ٤١]، و﴿فَكَيْفَ إِذَا جَمَعْنَاهُمْ لِيَوْمٍ لَّا رَيْبَ فِيهِ﴾ [آل عمران: ٢٥] هذه الآيات وأمثالها تفتح آفاقًا رحبة للتفكر في أحداث وأهوال يوم القيامة.

- من أعظم مرقات القلب ومجريات الدمع تَصوُّر أحوال وأهوال يوم القيامة.

- إذا كان الشافع يبكي من هول المطلع وشدة الكرب، فالأحرى والأجدر بالمشفوع له أن يطيل البكاء، وأن يستعدَّ لذلك اليوم بخير الزاد!.

- سماعُ القرآن الكريم عبادة صامتة يغفلُ عنها الكثيرون ؛ يقول الله عز وجل : ﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿٢٠٤﴾﴾ [الأعراف: ٢٠٤].

- البكاء عند قراءة القرآن صفةُ العارفين وشعار عِبادِ اللهِ الصَّالِحِين.(١)

- أعلى البكاء وأفضلُه ما كان خشوعًا وخشية لله تعالى، قال الله تعالى في صفة أنبيائه وأصفيائه : ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَٰنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا﴾ [مريم: ٥٨]، وليس التباكي واصطناع البكاء.

قال ابن بطال: هذه سيرة الأنبياء والصالحين كأن خوف الله أُشرب قلوبهم واستولى عليهم الوجل حتى كأنهم عاينوا الحساب.(٢)

- البكاء لا يعني العويل ورفع الصوت، فالنبي ﷺ كان أكمل الناس خشوعًا، ولم يكن يرفع صوته بالبكاء، وهكذا الصحابة رضي الله عنهم.

(١) الأذكار للنووي(ص: ١٠٧)
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ١٨٧)

◆ **ذكر العلماء عدة أسباب لبكاء النبي ﷺ عند سماعه هذه الآية :**

١ بكى ﷺ خوفًا وخشية من موقف يوم القيامة بين يدي الله تعالى.

قال القرطبي[١]: بكاء النبي ﷺ إنما كان لعظيم ما تضمنته هذه الآية من هول المطلع وشدة الأمر، إذ يؤتى بالأنبياء شهداء على أممهم بالتصديق والتكذيب، ويؤتى به ﷺ يوم القيامة شهيدا.[٢]

٢ بكى ﷺ شفقةً ورأفة ورحمة بأمته.

قال ابن حجر[٣] : الذي يظهر أنه بكى رحمة لأمته لأنه علم أنه لابد أن يشهد عليهم بعملهم؛ وعَمَلُهم قد لا يكون مستقيمًا فقد يُفْضي إلى تعذيبهم.[٤]

٣ ولربما استشعر رسول الله ﷺ تلك المكانة العظيمة التي بوأه اللهُ إياها يوم يأتي شافعًا للناس بعد أن يعتذر الأنبياء والرسل، وشاهدًا على أمته وعلى الأمم من قبله، قال رسول الله ﷺ في حديث الشفاعة بعد أن ذكر اعتذار الأنبياء والرسل: «فَيَأْتُونِي فَأَسْجُدُ تَحْتَ العَرْشِ، فَيُقَالُ يَا مُحَمَّدُ ارْفَعْ رَأْسَكَ، وَاشْفَعْ تُشَفَّعْ، وَسَلْ تُعْطَهْ».[٥]

وفي بكائه ﷺ استشعار لعظيم الأمانة التي اؤتمن عليها، وشعور بالمسؤولية التي أُلزم بها ويُسأل عنها، قال تعالى: ﴿فَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلَّذِينَ أُرْسِلَ إِلَيْهِمْ وَلَنَسْـَٔلَنَّ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٦﴾ [الأعراف: ٦]

ويبقى بكاؤه ﷺ سُنَّةً لأمته مِن بعده؛ يقرأون القرآن فيتأثرون ويبكون، كما بكى رسولهم ﷺ فيهتدون بهديه ويتبعون سنته، ويُربُّون أنفسَهم على سيرته.

---

(١) أبو عبد الله محمد بن شمس الدين القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ)
(٢) تفسير القرطبي (٥/ ١٩٧)
(٣) أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد بن أحمد بن حجر العسقلاني (المتوفى: ٨٥٢هـ)
(٤) فتح الباري لابن حجر (٩/ ٩٩)
(٥) رواه البخاري (٣٣٤٠) ومسلم (١٩٤) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

◆ في سماع النبي ﷺ القرآن من ابن مسعود رضي الله عنه عدة فوائد:

أ بيان مشروعية الاستماع للقرآن من غيره، ومعلوم أن القراءة والاستماع يحتاجان إلى فهم وتدبر.

ب دليل على تواضعه ﷺ مع أتْباعه وأصحابه، فقلَّما يجلس عالِمٌ أو شيخٌ يستمع لتلميذه ويتأثر لسماعه إلا مَن رحم ربي.

جـ ليكون عَرْضُ القرآن على القُرَّاء الماهرين به سنةً متبعة، يتبعها الحفاظ.(١)

◆ في قوله ﷺ لابن مسعود : «كُفَّ – أَوْ أَمْسِكْ - حَسْبُكَ الآنَ»

جواز قطع القراءة على القارئ إذا حدث على المقرئ عذر أو شغل بال؛ لأن القراءة على نشاط المقرئ أولى ليتدبر معاني القرآن ويتفهم عجائبه، ويحتمل أن يكون أمره ﷺ بقطع القراءة تنبيهًا له على الموعظة والاعتبار في قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِن كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ﴾ [النساء : ٤١] الآية.(٢)

وقد بوَّب البخاري في صحيحه لذلك : باب قول المقرئ للقارئ حسبك.(٣)

وأن ذلك هو سنة النبي ﷺ، وأمّا ما اعتاده كثير من الناس من أنه يقول: صدق الله العظيم، فإن هذا – وإن كان من ناحية المعنى صحيحًا – إلا أن المواظبة عليه أمر يحتاج إلى دليل، والنبي ﷺ لم يكن يقطع القراءة بقول: صدق الله العظيم.(٤)

(١) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن(٢٤/ ١٦٠)
(٢) شرح صحيح البخاري لابن بطال (١٠/ ٢٧٨)
(٣) صحيح البخاري كتاب فضائل القرآن
(٤) وعلى هذا يفرق بين من داوم على قولها تديُّنًا وبين من قالها عرضًا حتى لا نتسرع في إصدار الأحكام على الناس.

أثر القصة في حياتي

سماع القرآن عبادة يسيرة؛ فلا أَحْرِم نفسي مِن سماعه في البيت، وفي العمل، وفي السيارة، وعلى كلِّ الأحوال.

أتدبرُ القرآن وأتفاعلُ معه لأنه الغاية الكبرى من نزول القرآن :

﴿ كِتَٰبٌ أَنزَلْنَٰهُ إِلَيْكَ مُبَٰرَكٌ لِّيَدَّبَّرُوٓاْ ءَايَٰتِهِۦ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُواْ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٩﴾ ﴾ [ص: ٢٩]

فتدَبرِ القرآنَ إنْ رُمْتَ الهُدَى ... فالعلمُ تحتَ تدَبُّرِ القرآنِ [١]

قال ابن القيم[٢]: لو علم الناس ما في قراءة القرآن بالتدبر لاشتغلوا بها عن كل ما سواها.[٣]

لا أَمَلُّ مِن تكرار الآية التي أحتاج إليها في ترقيق قلبي.

قال ابن القيم: فإذا قرأ القرآن بتفكر حتى مَرَّ بآية وهو محتاجًا إليها في شفاءِ قلبِه كرَّرها ولو مائةَ مرة، ولو ليلة؛ فقراءةُ آيةٍ بتفكُّرٍ وتفهُّمٍ خيرٌ من قراءة ختمة بغير تدبر وتفهم وأنفع للقلب وأدعَى إلى حصول الإيمان وذوق حلاوة القرآن.[٤]

أُصاحبُ أهلَ القرآن العاملين به وأَحرصُ على مجالستهم لأن صحبتهم ومجالستهم تعينني على السير إلى الله.

أتخيل حالي يوم القيامة وأستعدُّ لهذا الموقف استعدادًا يليق به.

أَعتزُّ بانتسابي للنبي ﷺ وأقتدي بسنته، فانتسابي إليه شرفٌ في الدنيا والآخرة.

أَحْمِلُ همَّ سُنَّةِ النبي ﷺ؛ فكم بكى النبي ﷺ وكم تحمل الأذى من أجلي.

إضاءة

صاحبٌ لكَ يُذكِّرُكَ بآية من القرآن خيرٌ مِن صاحب لا يكلمك إلا في أمور الدنيا.

---

(١) نونية ابن القيم (ص: ٤٩)
(٢) محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس الدين ابن قيم الجوزية (المتوفى: ٧٥١هـ)
(٣) مفتاح دار السعادة لابن القيم(١/ ١٨٧)
(٤) مفتاح دار السعادة (١/ ١٨٧)

إرشادات للمربي

كلِّف طلابك بعمل بحث مختصر لسيرة ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

عليك بالاعتناء بطلابك، وخاصة أصحاب الأصوات الندية وتوجيههم لحفظ القرآن وتعلُّمِه.

تخيَّر للإمامة الأضبط قراءة والأندى صوتًا، خاصة في شهر رمضان، حتى تلين القلوب القاسية، وتستقيم النفوس المتمرِّدة، وتقشعرَّ الجلودُ الجامدة.

اجلس مع طلابك وذكِّرهم بأهوال الآخرة وكيف نستعد لها.

كلِّف طلابك أن يجمعوا الأسباب التي ينال بها المسلم شفاعة النبي ﷺ، وناقشهم في كيفية تطبيقها.

بيِّن لطلابك مدى حرص النبي ﷺ علينا، حتى العصاة وأصحاب الكبائر لم يتخل عنهم يوم القيامة، كما قال ﷺ: «شَفَاعَتِي لأَهْلِ الْكَبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي».[1]

(١) صحيح: من حديث أنس بن مالك رضي الله عنه: أخرجه أحمد(١٣٢٢٢)، وأبو داود(٤٧٣٩)، والترمذي(٢٤٣٥)، وابن أبي عاصم في السنة(٨٣٢،٨٣١)، والبزار (٦٩٦٣)، وأبو يعلى(٣٢٨٤). ومن حديث ابن عمر رضي الله عنه: أخرجه ابن أبي عاصم في السنة(٨٣٠)، وأبو يعلى (٥٨١٣)

٣

ذُكِرْتُ عِندَ رَبِّ العالَمِين

ربما يَطيرُ بعضُ الناس فرحًا، وربما لا تسَعُه الأرض إذا أثنى عليه عالِمٌ أو وزيرٌ أو أمير! ..

ولعله يَلْهج بذلك طِيلةَ حياته أو يَجْعله وِسامًا على صدْرِه بمجرد أن مخلوقًا مثلَه ذكره !

فما ظنُّك أن يكون الثناء عليك مِن ربّ العالمين ؟

هل تصوّرتَ أن يُثنَى عليك في الملأ الأعلى ؟

لقد بَكى أُبيّ بن كعب ﷺ لمَّا عَلِم أنَّ الله ذَكَره في الملأ الأعلى

فهل مرّ بخاطرك هذا الذِّكر ؟

القصة

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ ﷺ قَالَ النَّبِيُّ ﷺ لِأُبَيِّ بنِ كَعْبٍ ﷺ: « إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ: ﴿لَمْ يَكُنِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾ ». قَالَ أُبَيٌّ : آللهُ سَمَّانِي لَكَ ؟ قَالَ: «اللهُ سَمَّاكَ لِي» قَالَ: وَقَدْ ذُكِرْتُ عِنْدَ رَبِّ العَالَمِينَ؟ قَالَ: « نَعَمْ ». فَجَعَلَ أُبَيٌّ يَبْكِي.(١)

وفي رواية : أنَّ أبيَّ بن كعب حدَّث بهذا الحديث، فقال له عبدُ الرحمن بنُ أَبْزَى : يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، فَرِحْتَ بِذَلِكَ ؟ قَالَ : وَمَا يَمْنَعُنِي؛ وَاللهُ تعالى يَقُولُ : ﴿قُلْ بِفَضْلِ ٱللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ۝٥٨﴾ [يونس : ٥٨].(٢)

(١) رواه البخاري (٤٩٥٩، ٤٩٦١) ومسلم (٧٩٩)

(٢) أخرجه سعيد بن منصور في التفسير(١٠٦٢) والطيالسي(٥٤٥) وأبو عبيد في فضائل القرآن(ص٣٥٨) وأبو داود السجستاني(٣٩٨١) من طرق عن أجلح بن عبد الله، وأخرجه أحمد (٢١١٣٧) والبخاري في خلق أفعال العباد(ص١٠٧)وأبو داود السجستاني(٣٩٨٠) من طريق أسلم المنقري. كلاهما عن عبد الله بن عبد الرحمن بن أبزى عن أبيه عن أبي بن كعب به.

إضاءات على القصة

◆ من هو أُبيٌّ بن كعب ﷺ ؟

أبو المنذر أُبَيّ بن كعب بن قيس بن عبيد الأنصاري ﷺ؛ صحابي وقارئ وفقيه وكاتب للوحي وراوي للحديث النبوي، وهو أحد الصحابة الذين جمعوا القرآن في حياة النبي ﷺ وعرَضَه على النبي ﷺ في حياته، وله مناقب كثيرة.(١)

من مناقبه أن النبي ﷺ شهد له بالعلم: عن أُبَيّ بْن كَعْبٍ ﷺ قَالَ: قَالَ لي رَسُولُ اللهِ ﷺ: « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ، أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ » قَالَ : قُلْتُ : اللهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ. قَالَ: « يَا أَبَا الْمُنْذِرِ أَتَدْرِي أَيُّ آيَةٍ مِنْ كِتَابِ اللهِ مَعَكَ أَعْظَمُ ؟ ». قَالَ: قُلْتُ : ﴿ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْحَيُّ ٱلْقَيُّومُ﴾ [البقرة: ٢٥٥]. قَالَ: فَضَرَبَ فِي صَدْرِي، وَقَالَ: « وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ ».(٢)

وكان ممن أمر النبي ﷺ بأخذ القرآن عنهم فقال ﷺ : «خُذُوا الْقُرْآنَ مِنْ أَرْبَعَةٍ مِنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ، وَسَالِمٍ، مَوْلَى أَبِي حُذَيْفَةَ، وَمُعَاذِ ابْنِ جَبَلٍ، وَأُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ»(٣)

وهل بعد تزكية الله تعالى ورسوله ﷺ تزكيه ؟!

◆ موقف النبي ﷺ

غاية التواضع من خير البشرية ﷺ حين يقول لأحد تلاميذه : «إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ». قراءةَ تثبيت وتعليم وإنذار لا قراءة تعلُّم واستذكار.

◆ موقف أُبي ﷺ

استقبل أُبيُّ بن كعب ﷺ هذه البشرى العظيمة والمنزلة الرفيعة التي أنزله الله إياها بغاية الذُّل والانكسار والاعتراف بالفضل لله تعالى .. حتى أنه لم يتمالك عينيه من البكاء.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي(١/ ٣٩٠)
(٢) رواه مسلم (٨١٠)
(٣) البخاري(٣٨٠٨)، مسلم(٢٤٦٤)

دلالات القصة

- **التشجيع** المعنوي للمُتعلِّم منهجُ نبوي : « إِنَّ اللهَ أَمَرَنِي أَنْ أَقْرَأَ عَلَيْكَ » .. « وَاللهِ لِيَهْنِكَ الْعِلْمُ أَبَا الْمُنْذِرِ ».

- **شعور** بالفرح فاق تصوُّر أُبيّ بن كعب حين قلَّده النبيُّ ﷺ هذا الوسام العالي،

يا لها من بشارة .. لم تحتملها قواه .. لذلك جعل يبكي

- **بعض** المربين والمعلمين يظل السنين الطوال لا يُسمع طلابَه أو مَن يُربيهم كلمة ثناء أو تحفيز بحجة:

• أخاف عليه من الرياء. • أخاف عليه من الغرور. • أخاف أن يتجرأ عليَّ.

- **منقبةٌ** عالية لأُبي بن كعب رضي الله عنه وذلك من جهتين:

أحدهما : أن الله سماه بعينه في الملأ الأعلى.

والثاني : قراءة النبي ﷺ فإنها منقبة عظيمة له.(١)

لماذا بكى أُبي رضي الله عنه ؟

- **بكى** رضي الله عنه سرورًا واستصغارًا لنفسه عن تأهيله لهذه النعمة وإعطائه هذه المنزلة.

- **وقيل** إنما بكى خوفًا من تقصيره في شكر هذه النعمة.(٢)

- **بكي** أُبيٌّ من شدة فرحه ويحقّ له ذلك، فالفرح الحقيقي بفضل الله ورحمته

طَفَحَ السرور عليّ حتى إنه ... من عِظم ما قد سرّني أبكاني

- **بكى** أُبيّ بن كعب رضي الله عنه من الفرح حين أُخبر أنَّ الله تعالى ذكره، فكيف بمَنْ صار اسمُه قرآنًا يُتلى: ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا﴾ [الأحزاب: ٣٧].(٣)

---

(١) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١)
(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١)
(٣) تفسير القرطبي (١٤/ ١٩٤)

شتان بين بكاء وبكاء

- بكاء ندم وحسرة لاقتراف ذنب أو زلة قدم.
- بكاء فرح برضوان الله ورحمته وفضله.
- بكاء لضياع طاعة من الطاعات.
- بكاء لفوات منزلةٍ عند الله.

- وبكاء لأجل فوات حطام دنيا.
- بكاء لأجل محبوب أو معشوق؟!
- بكاء لأجل هزيمة فريقه في مباراة !
- بكاء لأجل مشهد مؤثر في فيلم أو مسلسل !

لا يقدِّر فرحةَ (أُبيّ) إلا مَن يعلمون قَدْرَ مَن ذُكِرَ عنده (أُبيّ) .. (عند ربّ العالمين).

قال ابن الجوزي[1]: مَن لم يكن لَهُ مثل تقواهم لم يعلم مَا الَّذِي أبكاهم؛ مَن لم يُشَاهد جمالَ يُوسُفَ لم يعلم مَا الذِي آلَم قلبَ يعْقُوب.[2]

ما وصل أُبيّ رضي الله عنه لهذه المنزلة إلا إنه كانت له حالٌ مع القرآن؛ فقد كان أُبي ابن كعب رضي الله عنه يختم القرآن في كل ثمان ليال.[3]

الرفعة الحقيقية بثلاثة أشياء :

العلم والإيمان والقرآن، قال تعالى: ﴿يَرْفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مِنكُمْ وَٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ دَرَجَٰتٍ﴾ [المجادلة: ١١]

وفي الحديث: « إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا ».[4]

إضاءة

سأل رجلٌ أحدَ الصالحين: كم أقرأُ مِن القرآن ؟.

قال : بقدر حاجتك من السعادة.

(١) جمال الدين أبو الفرج عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (المتوفى: ٥٩٧هـ)

(٢) المدهش (ص: ٤١٣)

(٣) صحيح: أخرجه ابن سعد في الطبقات الكبرى (٣/ ٣٧٩) قال أخبرنا عفان بن مسلم قال: أخبرنا وهيب قال: أخبرنا أيوب عن أبي قلابة عن أبي المهلب عن أبي بن كعب رضي الله عنه به.

(٤) رواه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

لقد جمع أُبيّ الفضائل الكثيرة، ولكن كانت شهرته الأكبر في ارتباطه بالقرآن.

لقد تجاوز «أُبيّ» القاعدة: إذا أردتَ أن تعرفَ مقامَك فانظر أينَ أقامَكَ؛ ولكن «أُبيّ وأمثاله» همّتُهُم: مَن يذْكُرُكَ، وأين يذكُرُكَ، وبأيِّ شيءٍ يذْكُرُك!.

العارف بربه حقًّا هو: مَن لا يَرَى لنفسه حالًا ولا مقامًا، بل يدخل على الله تعالى من باب الافتقار والإفلاس المحْض.(١)

بيان استحباب قراءة القرآن على الحُذّاق فيه، وإن كان القارئ أفضل من المقروء عليه.

استحباب تواضع الإنسان في أخذ العلم من أهله، وإن كان دونه في المنزلة.

بيان جواز البكاء للسرور والفرح مما يُبَشَّر الإنسان به، ويُعطاه من معالي الأمور.

ينبغي الاستثبات في الأمور المحتَمِلة، كما استثبت أُبي من النبي ﷺ «سَمَّانِي لَكَ ؟».

التحديث بنعمة الله والفرح والسرور بفضله، فلقد حدّث أُبيٌّ بهذا الحديث، ولما سئل عن شعوره أخبر عنه بصدق.

ما الحكمة من قراءة النبي ﷺ القرآن على أُبيٍّ ؟

أن يتعلم أُبيّ ألفاظ القرآن وكيفية أدائه ومواضع الوقوف وغير ذلك، فكانت القراءة عليه لتعليمه لا ليتعلم منه النبيُّ ﷺ.

وليَسُنَّ لنا النبيُّ ﷺ عرضَ القرآن على حُفَّاظِه البارعين فيه والمجيدين لأدائه.

وليَسُن لنا أيضًا التواضع في أخذ الإنسان القرآن وغيره من العلوم الشرعية من أهلها وإن كانوا دونه في النسب والدين والفضيلة والمرتبة والشهرة وغير ذلك.

وليُنبِّه الناس على فضيلة أبيّ رضي الله عنه وأهليته لأخذ القرآن عنه، فكان بعده ﷺ رأسًا، وإمامًا في إقراء القرآن مشهورًا به.(٢)

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم(ص: ٧)
(٢) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١)

تثبيتًا لقلب أُبي وزيادة لإيمانه، قال ابن كثير[1] : إنما قرأ عليه النبي ﷺ هذه السورة تثبيتًا له، وزيادة لإيمانه، لما رواه مسلم وغيره عَنْ أُبَيِّ بْنِ كَعْبٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ فِي الْمَسْجِدِ، فَدَخَلَ رَجُلٌ يُصَلِّي، فَقَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، ثُمَّ دَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ قِرَاءَةً سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَلَمَّا قَضَيْنَا الصَّلَاةَ دَخَلْنَا جَمِيعًا عَلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقُلْتُ: إِنَّ هَذَا قَرَأَ قِرَاءَةً أَنْكَرْتُهَا عَلَيْهِ، وَدَخَلَ آخَرُ فَقَرَأَ سِوَى قِرَاءَةِ صَاحِبِهِ، فَأَمَرَهُمَا رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَآ، فَحَسَّنَ النَّبِيُّ ﷺ شَأْنَهُمَا، فَسَقَطَ فِي نَفْسِي مِنَ التَّكْذِيبِ، وَلَا إِذْ كُنْتُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ[2]، فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ ﷺ مَا قَدْ غَشِيَنِي، ضَرَبَ فِي صَدْرِي[3]، فَفِضْتُ عَرَقًا وَكَأَنَّمَا أَنْظُرُ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ فَرَقًا[4]، فَقَالَ لِي: « يَا أُبَيُّ أُرْسِلَ إِلَيَّ أَنِ اقْرَأِ الْقُرْآنَ عَلَى حَرْفٍ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّانِيَةَ اقْرَأْهُ عَلَى حَرْفَيْنِ، فَرَدَدْتُ إِلَيْهِ أَنْ هَوِّنْ عَلَى أُمَّتِي، فَرَدَّ إِلَيَّ الثَّالِثَةَ اقْرَأْهُ عَلَى سَبْعَةِ أَحْرُفٍ».[5]

فلما نزلتْ هذه السورة الكريمة، وفيها : ﴿رَسُولٌ مِّنَ ٱللَّهِ يَتۡلُواْ صُحُفٗا مُّطَهَّرَةٗ ۝٢ فِيهَا كُتُبٞ قَيِّمَةٞ ۝٣﴾ [البينة: ٢، ٣] قرأها عليه رسول الله ﷺ قراءةَ إبلاغ وتثبيت وإنذار، لا قراءة تعلُّم واستذكار، والله أعلم.[6]

لماذا خصَّ سورة البينة بالقراءة ؟

وجهُ تخصيصِ سُورةِ البيِّنةِ بالقراءة : لِما فيها من ذِكرِ أصول الدين ومهماته مِن التوحيدِ والإخلاص، وبيان فُروع الرِّسالةِ من العبادةِ والصلاة والزكاة، وذِكْرِ المَعاد وبيان أهل الجنَّة وأهل النَّار، وتقسيم الناس إلى سُّعَداء وأشقياءِ، وخَيْرِ البَرِيَّةِ وشَرِّهم، وأحوالِهم قبل البَعثةِ وبعدَها، هذا كلُّه مع وجازةِ السُّورةِ وقِصَرِها.[7]

(١) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)

(٢) معناه وسوس لي الشيطان تكذيبًا للنبوة أشد مما كنت عليه في الجاهلية، لأنه في الجاهلية كان غافلاً أو متشكِّكًا فوسوس له الشيطان الجزم بالتكذيب. قال المازري: معنى هذا أنه وقع في نفس أُبي بن كعب نزغة من الشيطان غير مستقرة ثم زالت في الحال حين ضرب النبي ﷺ بيده في صدره. شرح النووي على مسلم (٦/ ١٠٢)

(٣) قال القاضي عياض: ضربه ﷺ في صدره تثبتًا له حين رآه قد غشيه ذلك الخاطر المذموم. شرح النووي على مسلم (٦/ ١٠٢)

(٤) أي فاض عَرَقًا من شدة الخوف وكأنه ينظر إلى الله تعالى.

(٥) رواه مسلم (٨٢٠)

(٦) تفسير ابن كثير(٨/ ٤٥٥)

(٧) شرح النووي على مسلم (١٦/ ٢١) والتوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن(٢٠/ ٤١٦) وفتح الباري لابن حجر (٧/ ١٢٧)

أثر القصة في حياتي

أَتعلَّمُ من النبي ﷺ أن أكون مشجعًا ومحفزًا لمَن حولي معينًا لهم على الخير.

أَذكرُ ربي في كل الأوقات حتى يذكرني ربي في السماوات ﴿ فَٱذْكُرُونِيٓ أَذْكُرْكُمْ ﴾ [البقرة: ١٥٢]

وقال في الحديث القدسي: « أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ إِذَا ذَكَرَنِي، فَإِنْ ذَكَرَنِي فِي نَفْسِهِ ذَكَرْتُهُ فِي نَفْسِي، وَإِنْ ذَكَرَنِي فِي مَلَإٍ ذَكَرْتُهُ فِي مَلَإٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ ».(١)

وأكْثِر ذِكْرَه في الأرض دأبا ... لِتُذكر في السماء إذا ذَكَرتا

أُحافظُ على الأذكار المقيدة كـأذكار (الصباح والمساء، بعد الصلوات، النوم، الخروج والدخول) وأجعل لنفسي أورادًا من الأذكار المطلقة.

أقترب من القرآن حتى أُذكرَ عند الرحمن

- أبدأ بحفظ القرآن.
- أقرأ في التفسير.
- أثبِّتُ لنفسي وِرْدًا يوميًا من القرآن.

لا أجعلُ همّي ذِكر الناس لي، وأجعل همّي الأكبر أن أُذكر في الملأ الأعلى.

لا يُذكر في الملأ الأعلى إلا أصحاب الهمم العالية، فأَحرصُ أن أكون منهم لأُذكر معهم.

أَجعلُ دأبي التواضع سواء كنتُ مُعلمًا أو متعلمًا أو رئيسًا أو مرؤوسًا.

أتعلَّم من أُبي بن كعب كيف أُقابل النعم الكبار بأمرين:

- عدم رؤية النفس واستصغارها.
- الانشغال بالمُنعم عن النعمة.

كلما تجدَّدَت لي نعمة، أجدِّدُ لها شكرًا، لأحافظ على النعم، ولتكون لي زخرًا.

(١) رواه البخاري (٧٤٠٥) ومسلم (٢٦٧٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أقرأُ في سيرة أُبي بن كعب وأقتدي به في حياتي فهو قدوة لحفاظ كتاب الله.

أَحْـذَرُ من ثلاث كلمات : « أنا»، «ولي»، «وعندي»، فإن هذه الألفاظ الثلاثة ابتُلي بها إبليس وفرعون، وقارون؛ فـ ﴿أَنَا۠ خَيۡرٞ مِّنۡهُ﴾ لإبليس، و﴿ لِي مُلۡكُ مِصۡرَ﴾ لفرعون، و﴿أُوتِيتُهُۥ عَلَىٰ عِلۡمٍ عِندِيٓ﴾ لقارون.(١) لذلك كان مصيرهم واحد : الطرد والحرمان من رحمة الله.

أُعبِّر عن فرحي بما لا يخرج عن شرع الله ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ هُوَ خَيۡرٞ مِّمَّا يَجۡمَعُونَ ٥٨﴾

إرشادات للمربي

كلّف طلابك بجمع سيرة أُبي بن كعب، واستخراج أهم الدروس المستفادة وناقشهم فيها، وكيف نحول القصة من علم إلى عمل ليستفيد منها الشباب.

اجمع طلابك على جلسة تدبر لسورة البينة، واستخرج أهم فوائدها وأسرارها.

ناقش مع طلابك قضية (محبة الذكر) عند الناس وكيف نوجهها توجيها صحيحًا.

بالتشاور مع طلابك : تعالوا لنرسم خطة لنعيش مع القرآن بقلوبنا وعقولنا وفي واقعنا.

اطرح على طلابك سؤالا: ما أكثر اسم من أسماء الله الحسنى ارتباطًا بهذه القصة.

(١) زاد المعاد لابن القيم (٢/ ٤٣٤)

قال ابن تيمية :

وندمتُ على تضييع أكثرَ أوقاتي

في غير معاني القرآن.

[العقود الدرية في ذكر بعض مناقب شيخ الإسلام
ابن تيمية لابن عبد الهادي (١/ ٤١)]

الفصل الثاني
القـرآن..
والعطـاء
قَصَصُهُمْ
مَعَ القُرآن

٤

مالٌ رابحٌ

طـالَ الـزمـانُ أو قَـصُـر، وتغيَّرَ الـدَّهرُ فعبسَ أو بَسَر، وشـحَّ مَـن شـحَّ، وبخِـلَ مَـن بَخِـل، فليس للصِّعاب إلا رِجالُها، ولا للشدائد إلا أهلُها ..

ويَبـقَى الجود والإحسان هو زينـةُ المسلم على مـرِّ الدُّهور والأزمان، فهو أُنْسُ النُّفوسِ المؤمنة، وراحةُ القلوب المُطمئنة، وزِينةُ الأتقياءِ وحِلية النُّبلاء.

كلما حاول أحدُهم كَفَّ نفسِه عنِ الاشتغالِ بحاجةِ مَن سواه أو أرادَ منعَ قلبِه مِن حَملِ هُمومِ مَن عَدَاه، أبَتْ عليه لذَّةٌ يجدُها في تفريج كُرْبةِ مكروب، وحلاوةٌ يتذوَّقُها في سدِّ حاجةِ منكوب

طمعًا فيما عند علام الغيوب.

***

القصة

عن أَنَس بْن مَالِكٍ ﷺ قال: كَانَ أَبُو طَلْحَةَ أَكْثَرَ الأَنْصَارِ بِالْمَدِينَةِ مَالًا مِنْ نَخْلٍ، وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ[1]، وَكَانَتْ مُسْتَقْبِلَةَ المَسْجِدِ، وَكَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَدْخُلُهَا وَيَشْرَبُ مِنْ مَاءٍ فِيهَا طَيِّبٍ[2]، قَالَ أَنَسٌ: فَلَمَّا أُنْزِلَتْ هَذِهِ الآيَةُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢] قَامَ أَبُو طَلْحَةَ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّ اللهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى يَقُولُ: ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾. وَإِنَّ أَحَبَّ أَمْوَالِي إِلَيَّ بَيْرُحَاءَ، وَإِنَّهَا صَدَقَةٌ لِلَّهِ، أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا[3] عِنْدَ اللهِ، فَضَعْهَا يَا رَسُولَ اللهِ حَيْثُ أَرَاكَ اللهُ، قَالَ: فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «بَخٍ[4]، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ[5]، وَقَدْ سَمِعْتُ مَا قُلْتَ، وَإِنِّي أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ». فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، فَقَسَمَهَا أَبُو طَلْحَةَ فِي أَقَارِبِهِ وَبَنِي عَمِّهِ.[6]

إضاءات على القصة

◆ أبو طلحة الأنصاري :

هو زيد بن سهل بن الأسود الخزرجي النجاري.

صاحب رسول الله ﷺ ومن بني النجار وهم أخوال النبي ﷺ، وأحد أعيان البدريين، شهد المشاهد كلها مع رَسُولِ اللهِ ﷺ، وله مواقف بطولية في الدفاع عن النبي ﷺ، وكان من أكثر الأنصار مالًا ومِن أسخاهم نفسًا وأكثرهم إنفاقًا في سبيل الله.[7]

---

(١) اسم بستان لأبي طلحة بجوار مسجد النبي ﷺ.
(٢) ماء عذب.
(٣) أي خيرها وأجرها.
(٤) كلمة تقال عند الرضا بالشيء، تفخيما له وإعجابا به.
(٥) ذو ربح كثير يجنيه صاحبه في الآخرة.
(٦) رواه البخاري (١٤٦١) ومسلم (٩٩٨)
(٧) راجع تهذيب الكمال في أسماء الرجال للمزي(١٠/ ٧٥) وسير أعلام النبلاء للذهبي(٢/ ٢٧) والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(٢/ ٥٠٢)

◆ أنس بن مالك بن النضر

راوية الإسلام، أبو حمزة الأنصاري، الخزرجي، النجاري، خادم رسول الله ﷺ روى عن: النبي ﷺ علمًا جمًّا، صحب النبي ﷺ أتم الصحبة، ولازمه أكمل الملازمة منذ هاجر، وإلى أن مات، وغزا معه غير مرة، وبايع تحت الشجرة، دعا له النبي ﷺ بقوله «اللهُمَّ أَكْثِرْ مَالَهُ وَوَلَدَهُ، وَبَارِكْ لَهُ فِيهِ»[1] قَالَ أَنَسٌ: فَوَاللهِ إِنَّ مَالِي لَكَثِيرٌ، وَإِنَّ وَلَدِي وَوَلَدَ وَلَدِي لَيَتَعَادُّونَ عَلَى نَحْوِ الْمِائَةِ، الْيَوْمَ.[2]

◆ علاقة أبي طلحة بأنس بن مالك (راوي الحديث)

أنس بن مالك بن النضر رضي الله عنه خادم رسول الله ﷺ لمدة عشر سنين في الحضر والسفر، أسلمتْ أُمُّه «أُم سُليم بنت مِلحان» وعرضتْ الإسلام عَلَى زوجها «مالك بن النضر» فغضب عليها، وخرج إلَى الشام، فهلك هناك، ثمَّ خَلَفَ عليها بعده أَبُو طلحة الأَنْصَارِيّ رضي الله عنه فتزوجها؛ لذلك يُعدُّ أبو طلحة هو زوج أُمِّ أنس بن مالك.[3]

وفي نقل «أنس» لنا هذه القصة عن «أبي طلحة زوج أُمِّه» بيان لما ينبغي أن تكون عليه العلاقة بين الأب ومَن يقوم مقامه «زوج الأم» من الاهتمام والرعاية والتربية الصحيحة لمَن يعولون لأن الله تعالى سائلهم عما استرعاهم.

◆ مميزات بيرُحاء[4]

- تحتوي على النخل الذي هو أفضل وأثمن الأموال في هذا الوقت.
- كان النبي ﷺ يدخلها يستظلُّ بظلها ويشرب من مائها.
- مكانها متميز؛ فهي مستقبلةٌ مسجدَ النبي ﷺ.
- بها عينُ ماءٍ عذبة، وقد كان الماء شحيحًا في ذلك الوقت.

(١) البخاري(٦٣٣٤)، مسلم(٢٤٨٠)
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر (١/ ١٠٩)، تهذيب الكمال للمزي (٣/ ٣٥٣)، سير أعلام النبلاء للذهبي(٣/٣٩٥)
(٣) راجع الاستيعاب لابن عبد البر (٤/ ١٩٤٠) وأسد الغابة لابن الأثير(٧/ ٣٣٣)
(٤) مكان بيرحاء الآن ضمن مسجد النبي ﷺ من الجهة الشمالية على شمال الداخل من باب الملك فهد بن عبد العزيز.

دلالات القصة

القرآن نورٌ وهداية، يستنير به المسلم في حياته، ويهديه إلى الطريق المستقيم، ويفتح له أبوابَ الخيرات والقربات؛ فكم مِن آية أنجتْ من النار بَشَرًا، وكم من آية رَفَعَتْ للعبد قدرًا.

فضل الصحابة رضي الله عنهم وسرعة استجابتهم لأمر الله تعالى، وحرصهم على بلوغ أعلى درجات الكمال.

إضاءة

مَن ذاقَ لذّةَ العطاء سارع في الإنفاق في السراء والضراء.

كلما قرأنا سِيَرَ السلف ورأينا بذْلَهم الغالي والنفيس في سبيل الله، نعلم أننا لا شيء!.

كأني بأبي طلحة رضي الله عنه يترقب نزول الآية ليُسجل اسمه في قائمة: ﴿أُولَٰئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ لَهَا سَابِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ [المؤمنون: ٦١]

وَكَانَ أَحَبُّ أَمْوَالِهِ إِلَيْهِ بَيْرُحَاءَ؛ حبُّ المالِ ليس عيبًا، لأنَّ اللهَ قد أخبر عن الإنسان فقال تعالى: ﴿وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾﴾ [العاديات: ٨] ولكن العيب الحقيقي هو أن يصل حبّ المال إلى درجة العبودية، قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « تَعِسَ عَبْدُ الدِّينَارِ، وَالدِّرْهَمِ ».(١)

النفوس جُبلت على «حبّ المال» فإذا بلغ الإنسان مرتبة يتخلى فيها عما يحب لشيء أعظم وهو «حبه لله تعالى» كان ذلك موصل لدرجة البر.

﴿لَن تَنَالُوا الْبِرَّ﴾ لمَّا عبَّر بـ«لن» وهي أقوى صيغ النفي، دلّ ذلك على أنه يتعذر أن يصل العبد إلى الدرجات العُلى من الجنة إلا بهذا الشرط: ﴿حَتَّىٰ تُنفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

قال السعدي: دلّت الآية أن العبد بحسب إنفاقه للمحبوبات يكون بره، وأنه ينقص من برِّه بحسب ما نقص من ذلك.(٢)

البِرّ: كلمة جامعة تدلُّ على كثرة الخير وتنوعه، وكذلك تُقال: للمراتب العالية في الإيمان والمنازل العالية في الآخرة.

(١) رواه البخاري (٦٤٣٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٢) تفسير السعدي (ص: ١٣٨)

عظيم الدرجات لا تنال بالأمنيات ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾.

قاعدة

﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ لا وصول إلى المطلوب إلا بإخراج المحبوب.

أولى الناس بالإحسان الأقارب والأرحام، ثم مَن دونهم إذا كانوا محتاجين .

الصَّدقةَ على الأقربينَ ذوي الحاجةِ أَولى وأفضَلُ، لأن الصَّدقةَ على الأقاربِ لها أجْرانِ: أجْرُ الصَّدقة، وأجْرُ صِلة الرَّحم. كما في سؤال زينب امرأة عبد الله بن مسعود للنبي ﷺ أَيَجْزِي عَنِّي أَنْ أُنْفِقَ عَلَى زَوْجِي، وَأَيْتَامٍ لِي فِي حَجْرِي ؟ قَالَ: «نَعَمْ، لَهَا أَجْرَانِ، أَجْرُ القَرَابَةِ وَأَجْرُ الصَّدَقَةِ»(١)

المال الرابح: هو ما يُقدِّمه العبد بين يديه عند مولاه، ويدَّخِرُه لنفسه ليوم لا ينفع فيه مال ولا بنون.

كلّ ما تقدّمه اليوم لا يضيع غدًا عند الله، قال سبحانه: ﴿وَمَا تُقَدِّمُوا۟ لِأَنفُسِكُم مِّنْ خَيْرٍ تَجِدُوهُ عِندَ ٱللَّهِ﴾ [البقرة: ١١٠]

قيمتك الحقيقة بما تمنح وليس بما تملك.

التشجيع على فعل الخير بالثناء على الفاعل، وشكره على عمله وإظهار الرضا والسرور به.

حرص الصحابة رضي الله عنهم على التواصل والتكاتف بين أفراد المجتمع، بِلُغةِ الحبِّ والإخاء، مما له الأثر الكبير في تماسك المجتمع وبنائه.

جواز دخول أهل العلم والفضل البساتين ليستظلوا بظلِّها، ويأكلوا من ثمرها، ويستريحوا فيها، وخاصة إذا كان أصحابُها يفرحون بذلك.

يجوز للإنسان أن يدخل مزرعةً أو بستانًا، فيشرب من مائها، إذا كان صاحب المزرعة يأذن له في ذلك.

(١) البخاري(١٤٦٦)، مسلم(١٠٠٠)

إنفاق أثمن الأوقات في خدمة الناس تقربًا إلى الله من أعظم البر؛ لأن الوقت من أغلى ما يملك المسلم ويحب.

إضاءة

الكريمُ المحسن أشرحُ الناسِ صدرًا، وأطيبُهم نفْسًا، وأنعمُهُم قلبًا، والبخيلُ أضيقُ الناس صدرًا، وأنكدُهم عيْشًا، وأعظمُهُم همًّا وغمًّا.(١)

حالنا مع الإنفاق

- إذا بَلِيَت الأكسية، وتمزقت الأحذية، وتعطَّلت الأجهزة احترنا .. ثم قرَّرنا أن نتصدق بها !
  فهل تُعدُّ هذه صدقة أم تخلُّصًا ؟!

- هل لديكم إجابة مقنعة؟
  نُهدي الأثرياء هدايا ثمينة وهم قادرون على شرائها، ونُعطي الفقراء بقايا ملابسنا وطعامنا مع شدة حاجتهم لذلك؟

- من أمراض نفوسنا : أنَّنا ننظرُ إلى قدْرِ من نعطيهِ الصّدقة، وإلى قدْر المادَّةِ التي تصدَّقْنا بها، ولا ننظرُ إلى قدْرِ من تصدَّقْنا لوجْهِهِ الكريم!.

ضابط المال المحبوب

- المالُ المحبوبُ يختلف باختلاف أحوال المتصَدِّقين، ورغباتهم، وسعة ثرواتهم.

قال رسول الله ﷺ: « سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ».(٢)

- مشاورةُ أهل العلم والفضل في أمور العبادة لها أثرٌ في السداد والتوفيق.

- أصحاب اليد العليا هم رموز كل عصر، يجودون بمالهم... ويُضحون بالغالي والنفيس بقلوب يملأها الرضا لذلك استحقوا وسام « اليَدُ العُلْيَا خَيْرٌ مِنَ اليَدِ السُّفْلَى ».(٣)

---

(١) زاد المعاد لابن القيم(٢/ ٢٤)
(٢) حسن : أخرجه ابن خزيمة(٢٤٤٣)، والنسائي(٢٥٢٦، ٢٥٢٧)، وابن حبان (٣٣٤٧)، والبزار(٨٨٩٧) وابن زانجويه في الأموال (١٣٣٦)
(٣) رواه البخاري (١٤٢٧) ومسلم(١٠٣٤) من حديث حكيم بن حزام رضي الله عنه.

العطاء أن

- ترسُمَ ابتسامةً على شفاهٍ حُرِمَت منها أيامًا وأيامًا.
- تبعثَ النورَ في عُيونٍ تنظر إلى الحياة بعدساتٍ مُظلمة.
- تزرعَ الأملَ في نفوسٍ يئستْ من الحياة.

وللعطاء أنواع ربما تغيب عن أذهاننا

- الصفح عمن أساء إليك عطاء.
- دعاؤك لأخيك بظهر الغيب عطاء.
- الكف عن عرض أخيك عطاء.

انظر حولك كم من الناس يحتاج إلى عطائك

- تائِهٌ يتخبط في خطواته تأخذ بيده لتوصله إلى طريق الحق.
- فقيرٌ عزيزُ النفس لا يُظهر حاجته تشعر بمعاناته وتخفف آلامه.
- أبٌ أو أُمٌّ يشعران بالوحدة تقتطع من وقتك وتجلس لتسمع حديثهما وتُدخل السرور عليهما.
- مريضٌ يُصارعُ آلامَ المرض ويُكابد أحزانَه، تَدخُلُ عليه وتتحدثُ إليه بكلمة طيبة تزرع في قلبه الأمل والتفاؤل فتَخِفّ آلامُه وتنقشع أحزانه.

أثر القصة في حياتي

أُكثر من القراءة في سير الصحابة لأتعلَّم سرعة الاستجابة لله ولرسوله ﷺ.

أُبادِرُ بالتفاعل مع نصوص الكتاب والسنة ولا أؤخر العمل بهما، فإني لا أدري متى ينتهي الأجل.

أَحرصُ أن تكون لي بصمة واضحة في مجتمعي، فإذا كان في وسعي شيء أستطيع تقديمه فلا أتوانى، ولا أتردد في تقديمه وبَذْله، ولا أنتظر أحداً يطلب منِّي بذله وتقديمه.

أُقدِّم حبَّ الله وما يحبه الله، على حبِّ أيِّ أحدٍ وعلى ما تحبه نفسي لأكون من الأبرار.

أُطبِّقُ هذه الآية ولو مرة، فإذا أعجبني شيء من مالي أتصدق به، لعلي أنال درجة البر.

أُنفق مما أحبُّ ولو كان شيئًا يسيرًا ﴿لَن تَنَالُوا۟ ٱلْبِرَّ حَتَّىٰ تُنفِقُوا۟ مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢]

أُحدِّد قدرًا يوميًا من الصدقة .. وأُركز على الأقارب، حتى أنال أجر الصدقة والصلة.

أَجْعلُ لنفسي «ختمة تطبيقية» لآيات القرآن فلا أتجاوز الآية حتى أعمل بها.

أَبْتغي بكلِّ أعمالي وَجْهَ الله تعالى حتى يتقبلها مِنِّي ويأجرني عليها «أَرْجُو بِرَّهَا وَذُخْرَهَا عِنْدَ اللهِ».

أُوجِّهُ وأنصح مَن طلب مني النصح والتوجيه «أَرَى أَنْ تَجْعَلَهَا فِي الأَقْرَبِينَ».

أُشاور مَن أَثِقُ به من أهل العلم والدين في أموري المهمة ففي مشورتهم البركة والتوفيق.

أعتقد أن اختيار الله ورسوله ﷺ خير لي من اختياري لنفسي.

أُثني وأُشجِّعُ مَن يعمل الخير اقتداءً بالنبي ﷺ « بَخٍ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ، ذَلِكَ مَالٌ رَابِحٌ ».

أَعْلَمُ أن ثمن الجنة «البذل مما أُحب»، فأترك ما أُحب مِن فضول النوم والراحة، وأقوم لأُناجي ربي بركعتين في ظلام الليل والناس نيام.

أَحبُّ أيام حياتي فترةُ الشباب، فأَحْرِصُ على أن أُنفقها في طاعة الله كي أكون من الأبرار: « وَشَابٌّ نَشَأَ فِي عِبَادَةِ رَبِّهِ ».[1]

(١) رواه البخاري (٦٦٠) ومسلم (١٠٣١) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

إرشادات للمربي

حفِّز طلابك بذكر نماذج من السلف في سرعة امتثال أوامر القرآن.

درِّب طلابك على كيفية التفاعل مع آيات القرآن من خلال ضرب الأمثلة.

كلف طلابك بجمع ثلاثة مواقف من حياة أبي طلحة الأنصاري تدل على قوة إيمانه.

ناقش طلابك في فوائد الصدقة العاجلة والآجلة.

وضِّح لطلابك أثر كلمات التشجيع والثناء الحسن إذا كانت في موضعها.

٥

أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ

من السهل أن تواصل الإحسان لمن يشكرك ويُبَجِّلُك ويُثني عليك، ولكن الابتلاء الحقيقي أن تُحسن لمنْ يَجْحَدُ فضلَكَ ويُنقص قدْرَك ويُسيءُ إليك.. فحينها تحتاج أن تتجاوزَ حظَّ نفسِكَ وتتذكرَ وعدَ ربِّكَ، لمَنْ قابل الإساءة بالإحسان والزَّلَّاتِ بالعفو والغفران :

﴿وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾

فتجعل إساءةَ غيرِكَ دافعًا للإحسان إليهم.

وهكذا ارتَقى الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ..

القصة

عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ : لَمَّا أَنْزَلَ اللهُ بَرَاءَتِي قَالَ أَبُو بَكْرٍ الصِّدِّيقُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وَكَانَ يُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحِ بْنِ أُثَاثَةَ لِقَرَابَتِهِ مِنْهُ وَفَقْرِهِ :

وَاللهِ لَا أُنْفِقُ عَلَى مِسْطَحٍ شَيْئًا أَبَدًا بَعْدَ الَّذِي قَالَ لِعَائِشَةَ مَا قَالَ

فَأَنْزَلَ اللهُ تَعَالَى : ﴿وَلَا يَأْتَلِ(١) أُو۟لُوا۟ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ أَن يُؤْتُوٓا۟ أُو۟لِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينَ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ۖ وَلْيَعْفُوا۟ وَلْيَصْفَحُوٓا۟ ۗ أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَكُمْ ۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٢٢﴾﴾ [النور : ٢٢].

فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ: بَلَى وَاللهِ يَا رَبَّنَا إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي، فَرَجَعَ إِلَى مِسْطَحٍ النَّفَقَةَ الَّتِي كَانَ يُنْفِقُ عَلَيْهِ وَقَالَ: وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا.

قَالَ عَبْدُ اللهِ بْنُ الْمُبَارَكِ: هَذِهِ أَرْجَى آيَةٍ فِي كِتَابِ اللهِ.(٢)

(١) (وَلا يَأْتَلِ) معناه لا يحلِفُ، (يَأْتَلِ) من الْأَلِيَّةِ وهي اليمين، ومنه قوله تعالى:﴿لِّلَّذِينَ يُؤْلُونَ مِن نِّسَآئِهِمْ﴾[البقرة: ٢٢٦]. تفسير القرطبي (١٢/ ٢٠٨)

(٢) رواه البخاري (٤١٤١) ومسلم (٢٧٧٠)

إضاءات على القصة

◆ مناسبة القصة

الحديث في سياق قصة الإفك التي اتُّهِمَتْ فيها السيدة عائشة في عرضها بهتانًا وزورًا، وبرَّأها الله مِن فوق سبع سماواتٍ بقرآنٍ يُتلى إلى يوم القيامة.

◆ التعرف على مِسطح بن أُثاثة

مسطح بن أثاثة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ ابنُ خالة أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وكان من المهاجرين وممن شهد غزوة بدر وكان من المساكين، وكان أبو بكر ينفق عليه لفقره وقرابته لكن لما علم الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن مِسطحًا فيمن خاضوا في عرض ابنته عائشة أقسم أن يقطع عنه النفقة.[1]

◆ طرف من موقف عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا

عائشة الصديقة بنت الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا ذكرتْ لنا القصة بحيادية ولم تنلْ من مسطح بكلمة واحدة مع أنه ممن تحدَّث بالإفك، وهذا إن دلّ فإنما يدلُّ على كمال عقلها وقوة إيمانها وضبطها لمشاعرها إذ لم تنتقم لنفسها ولو بكلمة سبّ ولا حتى عتاب.

◆ موقف الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ

أبو بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ طوَّع نفسَه وكبَحَ جِماحَها وتراجع سريعًا عن حَلِفه بمجرد سماعه للآية، وردَّ النفقة إلى مسطح وأقسم أن لا يقطعها أبدًا.

(١) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(٤/ ١٤٧٢) وتاريخ الإسلام للذهبي(٢/ ٢٣٠) والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(٦/ ٧٤)

◆ الفرق بين العفو والصفح :

العفو والصفح متقاربان في المعنى:

قال الراغب : الصفح : ترك التثريب، وهو أبلغ من العفو وقد يعفو الإنسان ولا يصفح.

وقال البيضاوي: العفو ترك عقوبة المذنب، والصفح: ترك لومه. ويدل عليه قوله تعالى: ﴿فَٱعۡفُواْ وَٱصۡفَحُواْ﴾ [البقرة: ١٠٩]، ترقِّيًا في الأمر بمكارم الأخلاق من الحَسَن إلى الأحسن، ومن الفضل إلى الأفضل.(١)

◆ أرجى آية في كتاب اللَّه(٢)

قال عبد اللهِ بن المُبارك: هذه أرْجَى آيةٍ فِي كتابِ الله.

وعلّق عليه القرطبي قائلًا: حيثُ لطفَ اللهُ بالقَذَفة العصاة، فكيف بغيرهم؟!.(٣)

دلالات القصة

◯ المقصود بقوله تعالى ﴿أُوْلُواْ ٱلۡفَضۡلِ مِنكُمۡ وَٱلسَّعَةِ﴾ أبو بكر رضي الله عنه

فهل بعد تزكية الله تزكية ؟

قال الفضيل بن عياض(٤): لم يُدْرِكْ عندنا مَنْ أدْرَكَ بكثرةِ صيامٍ ولا صلاةٍ، وإنَّما أدْرَك بسخاءِ الأنْفُس، وسلامةِ الصَّدْر والنصح للْأمة.(٥)

◯ عنايةُ الله بصدِّيق الأُمَّة وإرادةُ الخير له حيث إنه لمّا حلف على شيء، وكان الخير في غيره، نزلت الآية لإرشاده إلى أحسن الأفعال وأفضل الأخلاق، وكان من الممكن أن يُوجِّهَه النبيُّ ﷺ لذلك، ولكن نزل في حقه قرآن يعلمه ويربيه.

---

(١) معجم الفروق اللغوية للعسكري (ص: ٣٦٢)

(٢) قال السيوطي: وقد اختُلف في أرجى آية في القرآن على بضعة عشر قولا. الإتقان في علوم القرآن للسيوطي (٤/ ١٤٩)

(٣) تفسير القرطبي (١٢/ ٢٠٨) بنحوه

(٤) الفضيل بن عياض التميمي، أبو علي الزاهد من الوسطى من أتباع التابعين: ثقة عابد إمام توفي سنة ١٨٧هـ

(٥) حسن: أخرجه أبو عبد الرحمن السلمي في الصوفية (ص٢٤) وعنه البيهقي في الشعب (١٠٣٩٢) قال سمعت محمدً بن نصر بن منصور الصائغ قال سمعت مردويه الصائغ قال سمعت الفضيل بن عياض فذكره.

هكـذا كان الصِّدِّيـق بـل والصحابـة أجمعـون ﷺ يتلَقَّـون القـرآن تلقـي امتثـال وتطبيـق ،لا تلقِّيًـا غايتُـه حفـظُ الألفـاظِ والكلمـات فقـط!.

تأمَّل كيف ترْجَمَ الصديق ﷺ تعظيمَه لله سبحانه ولكلامه القرآن بسرعة الامتثال.

وهكذا المؤمن إذا ذُكِّر بالله خشع قلبه وخضع لحكمه، فإذا طُلب منه العفو سارع إليه.

ها هنا تُبلى السرائر؛ عندما يتعارض مرادُ الله مع الهوى وحظِّ النَّفْسِ؛ فأيُّهما تُقدِّم ؟

المواقـف الصعبـة تُظهـر معـادن النـاس؛ لـم يدخـل أبـو بكـر ﷺ اختبـارًا إلا ويحصـل فيـه علـى الدرجـة النهائيـة والمرتبـة العاليـة.

المؤمن هينٌ لينٌ سهلٌ قريبٌ؛ تأمَّل قول أبي بكر:
بَلَى وَاللهِ يَا رَبَّنَا إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي.

نِعْمَ المال الصالح للرجل الصالح لذلك سماهم الله ﴿أُوْلُواْ ٱلْفَضْلِ مِنكُمْ وَٱلسَّعَةِ﴾.

حقًـا إنهـم بشـر؛ الصحابـة ﷺ بشـرٌ يتأثـرون بمـا يتأثـر بـه النـاس، فمسـطح ﷺ يتكلـم في الإفـك، وأبـو بكـر ﷺ يَغضـب فيحلـف علـى قطـع النفقـة؛ ولكـن القـرآن ينـزل ليُسـدِّدَهم.

النـاس متفاوتـون؛ منهـم أولـوا الفضـل ومنهـم مسـاكين، ولـكلِّ منزلـة منهمـا أعمـال إيمانيـة لا ينبغـي التنـازل عنهـا.

«وَاللهِ لَا أَنْزِعُهَا مِنْهُ أَبَدًا» ما كان لله دام واتصل، وما كان لغير الله انقطع وانفصل.

القـرآنُ يُربينـا علـى أن نعلـو علـى حظـوظ النفـس، وأن نعلـم أن الأفضـل والأنقـى والأرقـى مَـنْ يعفـو ويصفـح.

﴿وَلْيَعْفُواْ وَلْيَصْفَحُوٓاْ﴾ مَـن عامـل الخَلْـق بصفـةٍ عامَلَـه اللهُ تعالـى بتلـك الصفـة بعينهـا في الدنيـا والآخـرة؛ فـالله تعالـى لعبـده علـى حسـب مـا يكـون العبـد لخَلْقِه.[1]

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب (ص: ٣٥)

مهما علتْ درجتُك في الإيمان فلا غنى لَكَ عن عفو ربك ومغفرته؛ ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾. ولقوله ﷺ «لَنْ يُدْخِلَ أَحَدًا عَمَلُهُ الجَنَّةَ» قَالُوا: وَلاَ أَنْتَ يَا رَسُولَ اللهِ؟ قَالَ: « لاَ، وَلاَ أَنَا، إِلَّا أَنْ يَتَغَمَّدَنِيَ اللهُ بِفَضْلٍ وَرَحْمَةٍ، فَسَدِّدُوا وَقَارِبُوا..»[1]

يا له مِن عرْضٍ ويا لها من فرصة لمَن عرف قدرها ووزْنَها: ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾.

مـن لطيف خطاب القرآن ﴿أَلَا تُحِبُّونَ أَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ﴾ فلم يتوعد بالعقوبة مَن لم يصفح ويعفُ، بل وعد مَن فعل بالمغفرة، فجاء الإرشاد بصيغة الحثّ والتحريض لا بصيغة التهديد والوعيد.

على العبد المسلم أن يُظهر افتقاره إلى الله عز وجل وحاجته للمغفرة، فالله يحب ذلك، لذلك قال الصديق: بَلَى وَاللهِ يَا رَبَّنَا إِنِّي لَأُحِبُّ أَنْ يَغْفِرَ اللهُ لِي.

مَن أحسنَ إليك فقد أسَرَك بإحسانه؛ والأصلُ أن يُقابَلَ الإحسانُ بالإحسان لا بالإساءة والنكران. ﴿هَلْ جَزَاءُ الْإِحْسَانِ إِلَّا الْإِحْسَانُ﴾ [الرحمن: ٦٠]

العطاء الذي ترجوه من الله وتصدق في طلبه يهيئ اللهُ لك أسبابَه حتى يَصلك.

إحسانك السابق وسيرتك الماضية تنفعك عند وقوع الإساءة، فرصيد مسطح رضي الله عنه من الهجرة وشهود بدر، البحرُ الطَّهورُ الذي لا يُبقِي للخَبَثِ أثرًا.

يجوز للمسلم أن يحنث في يمينه[2]، ويفعل الذي هو خير ويكفِّر عن يمينه[3]، وأسوته في ذلك رسول الله ﷺ القائل: « إِنِّي وَاللهِ إِنْ شَاءَ اللهُ لَا أَحْلِفُ عَلَى يَمِينٍ، ثُمَّ أَرَى خَيْرًا مِنْهَا، إِلَّا كَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي، وَأَتَيْتُ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ».[4]

العفو لا يعني الضعف والمهانة وإنما يعني العزَّ والكرامة: « وَمَا زَادَ اللهُ عَبْدًا بِعَفْوٍ، إِلَّا عِزًّا ».[5]

التحذير من الوقوع في أعراض المسلمين وخطورة ذلك على دين العبد ودنياه.

---

(١) البخاري(٥٦٧٣)، مسلم(٢٨١٦)

(٢) الحنث في اليمين: خُلْفُ اليَمين والرجوع فيه، بأن يَفعَلَ غيرَ ما حلَف عليه. راجع النهاية في غريب الحديث والأثر (١/ ٤٤٩)

(٣) ويتعيَّن ذلك إذا كان اليمين مانعًا من واجب أو موقعًا في فعل محرم.

(٤) رواه البخاري (٣١٣٣) ومسلم (١٦٤٩) من حديث أبي موسى الأشعري.

(٥) رواه مسلم (٢٥٨٨) من حديث أبي هريرة.

أثر القصة في حياتي

حتى أكون من أولي الفضل فلن أجعل إساءة الآخرين مانعًا لي من تقديم الإحسان ومقابلة إساءتهم بالعفو والغفران.

أتعامل مع القرآن على أنه رسائل من ربي موجَّهٌ إليَّ مباشرة؛ فأمتثل أمره وأجتنب نهيه.

أُسامح مَن أساء إليّ ليسامحني الله، وأعف ليعفوا الله عني وأغفر ليغفر الله لي.

قال ابن القيم: مَنْ عفا عن الخَلْقِ عفا اللهُ عنه، ومَن غفر غفر الله له، ومن سامح سامحه، ومن رفق بهم رفق به، ومن رحمهم رحمه، ومن أحسن إليهم أحسن إليه، ومن جاد عليهم جاد عليه، ومن نفعهم نفعه، ومن سترهم ستره، ومن صفح عنهم صفح عنه.(١)

أستحضر دائمًا الجزاء العظيم عند الله لمن يعفو ويصفح، حتى يكون ذلك عونًا لي على مداومة الإحسان ولو مع مَن أساء إليَّ: ﴿فَمَنْ عَفَا وَأَصْلَحَ فَأَجْرُهُ عَلَى اللَّهِ﴾ [الشورى: ٤٠]

لا أُقْسم على ترك عمل صالح كنتُ أقوم به لأي سبب كان، لئلا أقطع عن نفسي عطاءات ربي.

إذا حلفتُ علي يمين، ورأيتُ غيرَها أتقي لله منها، أُكفِّر عن يميني، وأفعلُ الذي هو أتقى لله؛ عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ ».(٢)

أَلْتَمِسُ العذرَ لمَن أخطأ في حقي من المسلمين، وإن لم أجد له عذرًا، أقول: لعل له عذرًا، وأنا لا أدري.

يقول قال أبو قلابة(٣) : إذا بلغك عن أخيك شيءٌ تكرهُه فالْتَمِس له العذرَ جهدك، فإن لم تجد له عذرًا فقل في نفسك: لعلّ لأخي عذرًا لا أعلمه.(٤)

---

(١) الوابل الصيب من الكلم الطيب لابن القيم(ص: ٣٥)

(٢) رواه مسلم (١٦٥٠)

(٣) عبد الله بن زيد بن عمرو الجرمي، أبو قلابة البصرى، من الوسطى من التابعين: ثقة فاضل كثير الإرسال توفي سنة ١٠٤ هـ و قيل بعدها .

(٤) حسن: أخرجه أبو نعيم في الحلية (٢/ ٢٨٥) ، وابن أبي الدنيا في مداراة الناس(٤٠) من طرق عن حميد الطويل، عن أبي قلابة به.

لن تنسيني الأخطاء والإساءات ما عند الناس من الخير والحسنات.

أُكْثِرُ من الحسنات والأعمال الصالحة في الرخاء لتنفعني إذا وقعتْ مِنِّي الزَّلات.

لا أقطع رجائي من عفو ربي مهما كثرت ذنوبي فعفو الله ورحمته أوسع من ذنوبي.

إرشادات للمربي

يُكلِّف المربي طلابَه أن يقوم كل واحد منهم بجمع ثلاث ورقات من سيرة أبي بكر الصديق ومواقفه المشرفة في امتثال أوامر الله.

يكلِّف المربي كلَّ طالب أن يَذكُر موقفًا من حياته قدّم فيه أمر الله تعالى على حظ نفسه، وماذا كانت النتيجة.

اقترح على طلابك تفعيل مشروع الصدقة اليومية ولو بالقليل لمن استطاع.

عوِّد طلابك على قبول الاعتذار ممن أساء إليهم.

وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ

إذا سَهُلَ عليك العطاء بدون عناء
فأنتَ مِن الأسْخِياء
وإذا أعطيتَ غيركَ أكثرَ مما تُبقي لنفسِكَ
فأنتَ جَوَاد
أما إذا أردتَ أن تَصِلَ أعلى المراتب الإيمانية
وأسمى المطالب الربانية
فَقدِّم حاجةَ إخوانك على حاجتك
وتلك هي مرتبة الإيثار.

مع قصة أراد الله لها البقاء لتكون نموذجًا يُحتذى
كَرَمٌ أخفاه أهلُه ليلاً فصَعَدَت به الملائكة إلى السماء
فعَجِبَ اللهُ مِن صنيع أهله ثمَّ أرسلَ اللهُ تعالى جبريلَ الأمين
إلى النبي الكريم ﷺ بقرآنٍ يُتْلى لتنتشر تلك القصة في الأرض
فحدَّث بها النبيُّ ﷺ أصحابَه، ونقلها الصحابة للأُمَّةِ مِن بعدهم.

*****

القصة

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى رَسُولِ اللهِ ﷺ فَقَالَ : إِنِّي مَجْهُودٌ[1]، فَأَرْسَلَ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِلَى بَعْضِ نِسَائِهِ فَقَالَتْ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ ! ثُمَّ أَرْسَلَ إِلَى أُخْرَى فَقَالَتْ مِثْلَ ذَلِكَ حَتَّى قُلْنَ كُلُّهُنَّ مِثْلَ ذَلِكَ: لَا وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ مَا عِنْدِي إِلَّا مَاءٌ !، فَقَالَ: « مَنْ يُضِيفُ هَذَا اللَّيْلَةَ رَحِمَهُ اللهُ ».

فَقَامَ رَجُلٌ مِنْ الْأَنْصَارِ[2]: أَنَا يَا رَسُولَ اللهِ، فَانْطَلَقَ بِهِ إِلَى رَحْلِهِ[3] فَقَالَ لِامْرَأَتِهِ: أَكْرِمِي ضَيْفَ رَسُولِ اللهِ ﷺ، هَلْ عِنْدَكِ شَيْءٌ ؟

قَالَتْ: وَاللهِ مَا عِنْدِي إِلَّا قُوتُ صِبْيَانِي!، فَقَالَ: فَعَلِّلِيهِمْ بِشَيْءٍ[4]، فَإِذَا أَرَادَ الصِّبْيَةُ الْعَشَاءَ فَنَوِّمِيهِمْ وَهَيِّئِي طَعَامَكِ وَأَصْبِحِي سِرَاجَكِ، فَإِذَا دَخَلَ ضَيْفُنَا لِيَأْكُلَ فَقُومِي إِلَى السِّرَاجِ حَتَّى تُطْفِئِيهِ وَأَرِيهِ أَنَّا نَأْكُلُ؛ وَنَطْوِي بُطُونَنَا اللَّيْلَةَ، قَالَ: فَهَيَّأَتْ طَعَامَهَا وَأَصْبَحَتْ[5] سِرَاجَهَا وَنَوَّمَتْ صِبْيَانَهَا ثُمَّ قَامَتْ كَأَنَّهَا تُصْلِحُ سِرَاجَهَا فَأَطْفَأَتْهُ، فَقَعَدُوا، فَجَعَلَا يُرِيَانِهِ أَنَّهُمَا يَأْكُلَانِ، فَأَكَلَ الضَّيْفُ وَبَاتَا طَاوِيَيْنِ[6]، فَلَمَّا أَصْبَحَ غَدَا إِلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ: « قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ ».

فَأَنْزَلَ اللهُ : ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ ۚ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِۦ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر : ٩].[7]

(١) أي أصابني الجهد وذلك لشدة العطش والجوع.
(٢) الصحابي الَّذِي أَضَاف الرجل هُوَ أَبُو طَلْحَة ﷺ وَقد جَاءَ مُصَرحًا بِهِ فِي بعض طرق مُسلم (٢٠٥٤)
(٣) رحل الإنسان منزله.
(٤) أمرها أن تشغل أولادها وتلهيهم.
(٥) أوقدت المصباح
(٦) أي باتا جائعين بدون عشاء.
(٧) رواه البخاري (٣٧٩٨)و (٤٨٨٩) ومسلم (٢٠٥٤)

إضاءات على القصة

- حدثت هذه القصة في مدينة رسول الله ﷺ أشرف البقاع بعد مكة المكرمة.
- يأتي رجلٌ غريب يكاد يهلك من شدة الجوع فيقول لأرحم الخلق ﷺ : إني مجهود !
- النبي ﷺ يجلس وحوله أصحابه، فيبدأ النبي ﷺ بنفسه فيرسل سريعًا إلى جميع أبياته التسعة ليأتي بأيّ طعام لإنقاذ هذا الرجل المجهود، فلم يجد إلا الماء، الماء فقط!.
- يعرض النبي ﷺ عرضًا مغريًا دون إحراج لأحد: « مَنْ يُضِيفُ هَذَا، رَحِمَهُ اللهُ ».
- يستضيفه رجل من الأنصار ولا يعلم أن بيته ليس به إلا عشاء الصبيان فقط!؟.
- يحتال الأنصاري هو وزوجته في إكرام ضيفهما ويبيتا جائعين مع صبيانهما ! .
- يعجب الله تعالى تعظيمًا لشأنهما وينزل الوحي إخبارًا بحالهما.
- فما أن يُصبح الصباح ويأتي الأنصاري لحضور مجلس النبي ﷺ كعادته، فيستقبله النبي ﷺ بأعظم البشريات: « قَدْ عَجِبَ اللهُ مِنْ صَنِيعِكُمَا بِضَيْفِكُمَا اللَّيْلَةَ ».

دلالات القصة

إلى مَن يشتكي ضيق العيش؛ تسعةُ أبياتٍ للنبيِّ ﷺ ليس فيها إلا ماء !

رحماك بنا يا رب !

بيان حال النبي ﷺ وما هو عليه من ضيق العيش وقلة ذات اليد، مع أنه ﷺ أكرم الخلق على الله، فلو كانت الدنيا تساوي عند الله شيئًا؛ لكان ﷺ أحقّ الناس بها، ولكنها لا تساوي شيئًا.

حسن أدب الصحابة مع النبي ﷺ فإن هذا الأنصاري رضي الله عنه قال لزوجته: (أكرمي ضيف رسول الله ﷺ) ولم يقل أكرمي ضيفنا مع أن الذي أضافه في الحقيقة هو هذا الرجل، لكنه أضافه نيابةً عن الرسول ﷺ فجعله ضيفًا لرسول الله ﷺ.

أين المُطَّلعون على أخبار الأمم؛ ليأتونا بأمثال هؤلاء الرجال الذين هم تلاميذ مدرسة محمد ﷺ!.

أولئِكَ آبائي فجِئْني بمثْلِهِمْ ... إذا جَمَعَتْنا يا جَريرُ المجامِعُ

نموذج فريد للإيثار؛ حيث بات هذا الصحابي وزوجته وصبيته من غير عشاء إكرامًا لهذا الضيف الذي نزل ضيفًا على رسول الله ﷺ.

هذا النموذج ثمرة من ثمرات تربية النبي ﷺ لأصحابه، وقد ركّز في منهجه التربوي على محاربة الأنانية وحبِّ الذات واستبدل ذلك بغرس روح محبة الجماعة وبثِّ معاني التكافل والتكامل بين أفرادها.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ أسمى معاني الإيثار وأرفعها: إيثارُ الله على غيره وإيثارُ رضَاهُ على رضا غيره. قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنِ الْتَمَسَ رِضَى اللهِ بِسَخَطِ النَّاسِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وَأَرْضَى النَّاسَ عَنْهُ، وَمَنِ الْتَمَسَ رِضَا النَّاسِ بِسَخَطِ اللهِ سَخَطَ اللهُ عَلَيْهِ، وَأَسْخَطَ عَلَيْهِ النَّاسَ ».[1]

(١) صحيح: أخرجه عبد بن حميد في المنتخب(١٥٢٤)، وإبراهيم بن يعقوب الجوزجاني في «أحوال الرجال ص ٨» و ابن حجر في الأمالي المطلقة(١٠٦) من طرق عن واقد بن محمد العمري، عن ابن أبي مليكة، عن القاسم بن محمد، عن عائشة، رضي الله عنها به مرفوعًا.
وأخرجه ابن حبان (٢٧٦)، والقضاعي في مسند الشهاب(٤٩٩، ٥٠٠)من طرق عن واقد بن محمد العمري عن محمد بن المنكدر عن عروة عن عائشة رضي الله عنها مرفوعًا. والحديث صححه ابن حجر في الأمالي المطلقة

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ﴾ يُقدِّمون راحةَ غيرهم على راحَتِهم، ويسعون في قضاء حوائج الناس بنفوس راضية وصدور منشرحة، فبهجة العطاء عندهم تفوق بهجة الأخذ بكثير.

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ التَّلذُّذ بالأخذ يشترك فيه معظم البشر، لكنَّ التلذُّذ بالعطاء لا يعرفه سوى العظماء.

بهذا الشعور النبيل عاش المسلمون حياة يسودها الجود والسخاء ويُكلِّلُها الإيثار الذي يعتبر من أسمى خصال المجتمع المسلم.

كم نحن بحاجة إلى نفوس كبار ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ فإنها معانٍ عظيمة وأجورها كبيرة سطَّروها بأفعالهم وجسَّدوها بمواقفهم، ولهذه المعاني عميقُ الأثر في تربية المجتمع على التنافس في الإيثار والتسابق في البذل.

المحبُّ لله وَصْفُه الإيثار، والمدَّعِي طبْعُه الاستئثار.(١)

إضاءة

أهلُ الدِّين يُؤثرون غيرَهم على أنفسهم، وأهلُ الدنيا يؤثرون أنفسَهم على غيرهم.

﴿وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ النفوسُ الكريمة لا تعرف الشُّحَّ، فالعطاء من جِبلَّتها، فإذا عجزت الأيدي عن العطاء، مَنَحت الوجوهُ البسمةَ ونشرت السرور.

إذا لم تتأهل النفوس لمنزلة الإيثار، فلا أقلَّ من سلامة الصدور ودعاء الأسحار: ﴿رَبَّنَا ٱغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَٰنِنَا ٱلَّذِينَ سَبَقُونَا بِٱلْإِيمَٰنِ وَلَا تَجْعَلْ فِى قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ رَبَّنَآ إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [الحشر: ١٠]

من أدب الضيافة ألا يُري الإنسانُ ضيفَه أنه مانٌّ عليه، أو أن الضيف مضيِّقٌ عليه، ومحرج له؛ لأن الرجل أمر بإطفاء المصباح حتى لا يظن الضيف أنه ضيَّق عليهم وحرمهم العشاء، وهذا مأخوذ من أدب الخليل إبراهيم عليه السلام حين نزلت به الملائكة ضيوفًا: ﴿فَرَاغَ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِينٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهُۥٓ إِلَيْهِمْ﴾ [الذاريات: ٢٦، ٢٧]

راغ إلى أهله: أي ذهب بسرعة وخفية لئلا يخجل الضيف.

(١) روضة المحبين ونزهة المشتاقين لابن القيم (ص: ٢٧٧)

ينبغي لكبير القوم أن يبدأ في مواساة الضيف بنفسه، فيواسيه من ماله إن أمكنه ذلك، فإن لم يمكنه طلب من أصحابه التعاون على البر والتقوى.

وراءَ كلِّ رجل كريم، امرأةٌ سخية رحيمة القلب، فقد أعانت المرأةُ زوجَها على إكرام الضيف مع شدة حاجتهما.

أعظم ما يدفع المسلم إلى الإيثار بعد إيمانه بالله عمقُ شعوره برابطة الإيمان التي تربطه بإخوانه، عَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ إِذَا اشْتَكَى مِنْهُ عُضْوٌ تَدَاعَى لَهُ سَائِرُ الْجَسَدِ بِالسَّهَرِ وَالْحُمَّى ».(١)

﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩]

الإيثار: هو تقديم المرء غيرَه على نفسه فيما هو في حاجة إليه من أمور الدنيا، ويقابله الأثرة التي هي استبداد المرء بالفضل واستحواذه عليه دون غيره.(٢)

(١) رواه البخاري (٦٠١١) ومسلم(٢٥٨٦)
(٢) راجع مدارج السالكين لابن القيم(٢/ ٢٨٢) بتصرف
(٣) تفسير القرطبي (١٨/ ٢٦)
(٤) مدارج السالكين (٢/ ٢٨٣)

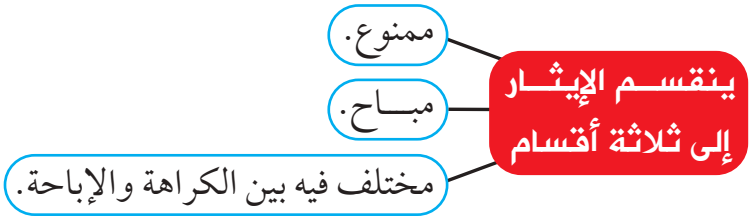

القسم الأوَّل : «الممنوع» وهو أن تؤثر غيرَك بما يجب عليك شرعًا، لأن الإيثار في الواجبات الشَّرعية حرام، لأنه يستلزم إسقاط الواجب عليك.

القسم الثَّاني : «المباح» وذلك أن تؤثر غيرَك في أمرٍ غير تعبُّدي، وهذا المباح قد يكون مستحبًّا.

القسم الثَّالث : «مختلف فيه بين الكراهة الإباحة» وهو الإيثَار في الأمور المستحبة، فقد كرهه بعض أهل العلم، وأباحه بعضهم، لكن تَركُه أولى إلَّا لمصلحة.[1]

التنافس في القربات هو الأصل وليس الإيثار ، عَنْ سَهْلِ بْنِ سَعْدٍ ﷺ قَالَ: أُتِيَ رَسُولُ اللهِ ﷺ بِشَرَابٍ فَشَرِبَ مِنْهُ، وَعَنْ يَمِينِهِ غُلَامٌ هُوَ أَحْدَثُ القَوْمِ وَالأَشْيَاخُ عَنْ يَسَارِهِ، قَالَ: « يَا غُلَامُ أَتَأْذَنُ لِي أَنْ أُعْطِيَ الأَشْيَاخَ؟»، فَقَالَ: مَا كُنْتُ لِأُوثِرَ بِنَصِيبِي مِنْكَ أَحَدًا يَا رَسُولَ اللهِ، فَأَعْطَاهُ إِيَّاهُ.[2]

إثبات صفة العجب لله تعالى

فالله تعالى يعجب متى شاء إذا شاء على ما يليق بجلاله.

وهذه الصفة تقتضي الرضا والإثابة وعظيم الأجر لمن تعجَّب منه سبحانه وتعالى.

وعجب الله لم ينشأ عن جهل لأن علمه سبحانه أزليٌّ محيطٌ بكلِّ شيءٍ، وإنما العجب المضاف إليه سبحانه عجبٌ ينشأ عن تمام علم، لخروج الشيء عن نظيره تعظيمًا له.

(١) شرح رياض الصالحين لابن عثيمين (٣/ ٤١٦) بتصرف
(٢) رواه البخاري (٢٣٦٦) ومسلم (٢٠٣٠)

أثر القصة في حياتي

كلما ضاقت عليَّ الحياة وتأزمتْ أُموري، أتذكّرُ حالَ أعظم مخلوق عرفَتْه الحياة ﷺ.

أُقارن بين ما أدَّخِرُه في بيتي وبين ما في أبيات النبي ﷺ التسعة!، وأتذكَّر: ﴿لَتُسْـَٔلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ ٱلنَّعِيمِ﴾ [التكاثر : ٨]

أَعْلَمُ حقيقةَ الدنيا وحجمها الحقيقي، فأُعطيها حجمها الذي يتناسب معها.

أُذَكِّرُ نفسي دائمًا بما أعدّه الله تعالى لأهل الإيثار حتى يَسْهُل عليها البذل والعطاء.

أُجاهِدُ نفسي وأُعوِّدُها على تقديم مراد الله على هواها ومرادها لأبلُغَ أعلى مراتب الإيثار.

أجعل دافعي للعطاء والإيثار النية الصالحة والإيمان وليس العادات والإحراج من الناس.

أستحضر نية الإيثار حتى مع أهل بيتي؛ فأوثر أولادي بوقت راحتي لأستمع إلى كلامهم وشكواهم، بل وأشاركهم في لعبهم.

إنْ عجزتُ عن العطاءِ المادِي فلا أقلّ مِن أنْ أَدُلَّ غيري على الخير: «مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أَجْرِ فَاعِلِهِ».(١)

أُعلِّم أولادي الإيثار والعطاء مِن صِغَرِهم ليَكْبَروا مُحبين للعطاء والبذل.

أَجْتنبُ البُخل والشُّحَّ لأنهما مِن الأخلاق التي لا يُحبها اللهُ ولا يحبُّ أهلها.

الزواجُ مشاركة وتعاون إيجابي بين الزوجين على أعمال البر للوصول إلى رضا الله.

أُكثر مِن الدعاء والتضرع إلى الله أن يَقِيَنِي شُحَّ نفسي ويُعينَني على خُلُق الإيثار.

(١) رواه مسلم (١٨٩٣) من حديث عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الأَنْصَارِيِّ رضي الله عنه.

إرشادات للمربي

- حدِّث طلابَك عن موقف الأنصار مع إخوانهم المهاجرين حين نزلوا عليهم في المدينة.

- كلِّف طلابَك أن يجمعوا الفوارق بين الإيثار والأثرة، وأثر كلٍّ منهما على الفرد والمجتمع.

- اجمعْ طلابَك على مائدة طعام واطلب منهم أن يطبقوا خُلُق الإيثار عمليًا.

الفصل الثالث
القـرآن..
والأدب
قَصَصُهُمْ
مَعَ القُرآن

٧

وَأَعْرِضْ عَنِ الجَاهِلِينَ

يستطيع كلُّ إنسان أن يَدَّعي أنه صاحبُ الخُلُق العالي والأدبُ الرفيع، ولكن المحكّ الحقيقي عندما يجْهَلُ الجاهِلُ ويَسْفَه السَّفيهُ، فحينئذٍ يسمو بصاحب الخُلُق النبيل خُلُقه وأدبُه، ويسقط بالجاهل جهلُه وسوءُ أَدَبه؛ فالدِّينُ كلُّه خُلُق، فمَنْ زادَ عليك في الخُلُق، زادَ عليكَ في الدِّين.(١)

القصة

عن عَبْد اللهِ بْن عَبَّاسٍ ﷺ قَالَ: قَدِمَ عُيَيْنَةُ بْنُ حِصْنٍ، فَنَزَلَ عَلَى ابْنِ أَخِيهِ الحُرِّ بْنِ قَيْسِ بْنِ حِصْنٍ، وَكَانَ مِنَ النَّفَرِ(٢) الَّذِينَ يُدْنِيهِمْ عُمَرُ ﷺ، وَكَانَ القُرَّاءُ(٣) أَصْحَابَ مَجْلِسِ عُمَرَ وَمُشَاوَرَتِهِ، كُهُولًا(٤) كَانُوا أَوْ شُبَّانًا، فَقَالَ عُيَيْنَةُ لِابْنِ أَخِيهِ: يَا ابْنَ أَخِي، هَلْ لَكَ وَجْهٌ(٥) عِنْدَ هَذَا الأَمِيرِ فَتَسْتَأْذِنَ لِي عَلَيْهِ ؟ قَالَ: سَأَسْتَأْذِنُ لَكَ عَلَيْهِ، قَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: فَاسْتَأْذَنَ الحُرُّ لِعُيَيْنَةَ، فأذن له عمر فَلَمَّا دَخَلَ عليه، قَالَ: هِيْ(٦) يَا ابْنَ الخَطَّابِ، فوَاللهِ مَا تُعْطِينَا الجَزْلَ(٧)، وَمَا تَحْكُمُ بَيْنَنَا بِالعَدْلِ، فَغَضِبَ عُمَرُ، حَتَّى هَمَّ بِأَنْ يَقَعَ بِهِ(٨)، فَقَالَ الحُرُّ: يَا أَمِيرَ المُؤْمِنِينَ، إِنَّ اللهَ تَعَالَى قَالَ لِنَبِيِّهِ ﷺ: ﴿خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ [الأعراف: ١٩٩]، وَإِنَّ هَذَا مِنَ الجَاهِلِينَ، فَوَاللهِ مَا جَاوَزَهَا عُمَرُ حِينَ تَلَاهَا عَلَيْهِ، وَكَانَ وَقَّافًا عِنْدَ كِتَابِ اللهِ.(٩)

(١) مدارج السالكين لابن القيم(٢/ ٢٩٤)
(٢) النَّفَر ما دون العشرة، وهم مجموعة قليلة من أهل العلم والفقه والدين والصلاح اختصهم عمر لحضور مجلسه باستمرار.
(٣) جمع قارئ، والمراد منهم القارئ للقرآن المتفهم لمعانيه.
(٤) الكهل: هو الشخص الذي جاوز الثلاثين إلى الخمسين على المشهور، وتمّ عقله وحِلمه.
(٥) أي: جاه ومنزلة
(٦) بكسر الهاء كلمة تهديد، أراد بها الزجر وطلب الكف. فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٥٩)
(٧) أي ما تعطينا الشيء الكثير أو العطاء الكثير.
(٨) أن يضربه أو يبطش به.
(٩) رواه البخاري (٤٦٤٢، ٧٢٨٦)

إضاءات على القصة

شخصيات القصة

١ عبد الله بن عباس بن عبد المطلب : حبر الأمة وترجمان القرآن وفقيه عصره، وابن عمّ رسول الله ﷺ .. وفضائله كثيرة.

٢ الحر بن قيس بن حصن بن حذيفة الفزاري :

أحد أهل العلم والفقه والدين والصلاح الذين كان يقربهم عمر رضي الله عنه ويشاورهم، وهو ابن أخي عيينة بن حِصْن المذكور معنا في القصة.

٣ عُيَيْنَة بن حِصْن بن حُذَيْفة الفَزاري : معدودٌ في الصحابة، وهو من المؤلفة قلوبهم، وكان في الجاهلية موصوفًا بالشجاعة والجهل والجفاء، أسلم عام الفتح وشهد مع النبي ﷺ حُنينًا فأعطاه مع المؤلفة مائةً مِن الإبل، وكان عيينة ممن وافق طُليحة الأسدي لما ادعى النبوة فلما غلبهم المسلمون في قتَال أهل الردة فرَّ طليحة وأُسِرَ عيينةُ فأُتي به أبو بكر رضي الله عنه فاستتابه فتاب، وكان قدومه إلى المدينة على عمر بعد أن استقام أمرُه، وفيه مِن جفاء الأعراب شيء.(١)

٤ أمير المؤمنين عمر بن الخطّاب بن نفيل القرشي العدوي الخليفة الراشد والإمام العادل وهو رضي الله عنه معروف، وفضائله كثيرة معلومة لكل مسلم.

صحح فهمك

◆ ﴿خُذِ ٱلۡعَفۡوَ﴾ أي: خُذْ مَا عُفِيَ لَكَ مِنْ أَفْعَالِ النَّاسِ وَأَخْلَاقِهِمْ وَسَهُلَ مِنْ غَيْرِ كُلْفَةٍ وَلَا تَطْلُبْ مِنْهُمُ الْجَهْدَ وَمَا يَشُقُّ عَلَيْهِمْ حَتَّى يَنْفِرُوا.(٢)

◆ ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡعُرۡفِ﴾ أي: بالمعروف، وهو كل ما يعرفه الشرع.(٣)

◆ فليس المقصود بـ ﴿بِٱلۡعُرۡفِ﴾ بما تعارف عليه الناس حتى ولو كان مخالفًا للشرع.

(١) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٥٨)
(٢) فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٥٩)
(٣) تفسير البغوي [معالم التنزيل] (٣/ ٣١٦)

◆ في قوله تعالى: ﴿وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡجَٰهِلِينَ﴾ ليس المراد الإعراض عن الجاهل الذي لا عِلْمَ عنده فلا تُعلِمُه ولا تُرشده !، وإنما المراد الإعراض عمَّن جَهِل عليك بخلُقٍ سيءٍ أو بقول بذيء فلا تُقابله بمثل جَهْلِه ولكن أعرض عنه.[1]

المقصود بالوقوف عند كتاب اللَّه

- العمل بما فيه.
- وعدم تجاوزه.[2]

تحليل الموقف

هذا الرجل «عيينة بن حصن»

قد أساء الأدب مع أمير المؤمنين عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وأتى بعدة أمور تثير الغضب وتجعله عرضة للانتقام والتأديب :

أول هذه الأمور : قوله: هي «يا ابن الخطاب»، ولم يقل : «يا أمير المؤمنين».

والثاني : قوله: والله ما تعطينا الجزل، يعني العطاء الكثير.

والثالث : وهو أقبح الأمور الثلاثة، قوله : «ولا تحكم بيننا بالعدل».

ومع هذا كله عفا عنه عمر وصفح عندما سمع قول الحُرِّ: إن هذا من الجاهلين، ووقف عند الآية عندما ذُكِّرَ بها، ولم يعمل بغير ما دلَّت عليه، بل عمل بمقتضاها.

(١) مفتاح دار السعادة لابن القيم(١/ ١٠١) بنحوه
(٢) فتح الباري لابن حجر(١٣/ ٢٥٩)

دلالات القصة

- من فقه عمر رضي الله عنه وحسن سياسته أنه كان يُقرِّب الفقهاء وإن كانوا صغارًا، ويحجب السفهاء ولو كانوا كبارًا، فالتقديم والتكريم يكون لأهل العلم والدين.
- تأمَّلْ أثرَ الصاحب الصالح والبطانة الناصحة في معالجة الأمور والتذكير بالله تعالى.
- ممّا يُبيِّن فقه وأدب الحرِّ بن قيس رضي الله عنه مع كونه شابًّا صغير السن :
  - اختيارُ الوقت والمكان المناسب للنصح.
  - إنزالُ الناس منازلهم بقوله «يا أمير المؤمنين».
  - قولُ الحق ولو على الأقربين (عمه) «وإن هذا لمن الجاهلين».
  - اختيارُ الآية المؤثرة والمناسبة لمعالجة الموقف.

- القرآن يَبني أخلاق الأقوياء :
  - أقوى الناس : مَن أوقفتهم آيات الله فقدَّمُوا مُرادَ الله على هوى النفس ومرادها.
  - حقًّا « لَيْسَ الشَّدِيدُ بِالصُّرَعَةِ[1]، إِنَّمَا الشَّدِيدُ الَّذِي يَمْلِكُ نَفْسَهُ عِنْدَ الغَضَبِ ».[2]
  - الإعراض عن الجاهل لغةٌ قوية لا يَستطيعُها إلا مَن سما خُلُقه وارتفعتْ همَّتُه وعلا بنفسه عن مستوى الجاهلين قال تعالى : ﴿وَإِذَا خَاطَبَهُمُ ٱلْجَٰهِلُونَ قَالُوا۟ سَلَٰمًا﴾ [الفرقان: ٦٣]

قال الحسن البصري : حُلَماء ؛ وإن جُهِلَ عليهم لم يَجْهَلوا.[3]

- عمر رضي الله عنه كظم غيظه لأنه يعلم الثمن جيدًا، فعن مُعَاذ بن أنس رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « مَنْ كَظَمَ غَيْظًا وَهُوَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُنْفِذَهُ، دَعَاهُ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ عَلَى رُءُوسِ الْخَلَائِقِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ حَتَّى يُخَيِّرَهُ اللهُ مِنَ الْحُورِ الْعِينِ مَا شَاءَ ».[4]

(١) الذي يغلب الرجال ويصرعهم.
(٢) البخاري (٦١١٤)، مسلم(٢٦٠٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.
(٣) صحيح: أخرجه أحمد في الزهد(١٦٥٤)، وابن أبي الدنيا في الحلم(١٠)، والطبري في تفسيره(١٩/ ٢٩٤ وما بعدها) من طرق عن الحسن البصري به.
(٤) حسن: أخرجه أحمد(١٥٦٣٧) والترمذي(٢٠٢١)، وأبو داود (٤٧٧٧)، وابن ماجه(٤١٨٦) من طرق عن سعيد بن أبي أيوب قال: حدثني أبو مرحوم عبد الرحيم بن ميمون، عن سهل بن معاذ بن أنس، عن أبيه، به.

بالعفو وبدفع السيئة بالحسنة تأتلف القلوب، وتجتمع الكلمة، وينقلب العدُو صديقًا ﴿وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ ﴿٣٤﴾﴾ [فصلت: ٣٤]

قوله تعالى: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ ﴿١٩٩﴾﴾ هذه الآية الكريمة مدرسة قرآنية جمعت مكارم الأخلاق.

قال القرطبي: هذه الآية من ثلاث كلمات، تضمنت قواعد الشريعة في المأمورات والمنهيات.

فقوله: ﴿خُذِ الْعَفْوَ﴾ دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين

ودخل في قوله: ﴿وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ﴾ صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغض الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله ﴿وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ الحض على التعلق بالعلم، والإعراض عن أهل الظلم، والتنزه عن منازعة السفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء.(١)

قال ابن القيم: لو أخذ الناسُ كلُّهم بهذه الآية لكفتْهُم وشفَتْهُم.(٢)

عمر رضي الله عنه نموذج للتذكر وقبول النصيحة والرجوع إلى الحق إذا ذُكِّر به.

فكفى بكلام الله مؤثرًا ومربيًا لمن كان لهُ قلبٌ أو ألقى السّمع وهوَ شهيد« وقَّافًا ».

قال ابن القيم: أوَّلُ مراتبِ تعظيمِ الحقِّ عز وجل تعظيمُ أَمْرِه ونَهْيه.(٣)

ما أحوج الأمة إلى

(الوقَّافين عند كتاب الله) في كل مجالات الحياة، ليعود لها عزُّها ومجدها.

مَن يأمر بـ (العرف) في زمان فسدت فيه كثير من أعراف الناس.

(١) تفسير القرطبي «الجامع لأحكام القرآن» (٧/ ٣٤٤)
(٢) الرسالة التبوكية لابن القيم (ص: ٧٥)
(٣) الوابل الصيب لابن القيم (ص: ١٠)

- من أراد أن توقفه آيات القرآن «عملًا وامتثالًا»، لابد أولًا أن تستوقفه آيات القرآن «فهمًا وتدبرًا».

- **الأخلاق الفاضلة حقًّا**: هي التي تظهر عندما يتعارض الشرع مع هوى النفس.

- **خطورة الجهل**:

الجهل يؤخر الكبير والعلم يرفع الصغير؛ وتأمل الفرق بين الحرّ بن قيس (شاب صغير السن) وبين عمه عيينة بن حصن (رجل كبير السن) فالمسألة ليست بالسن وإنما بالحكمة والعلم. «إِنَّ اللهَ يَرْفَعُ بِهَذَا الْكِتَابِ أَقْوَامًا، وَيَضَعُ بِهِ آخَرِينَ».[1]

- **من صفات الجاهلين أنهم**:

- يحكمون على الناس بلا بينة.
- لا يُنزلون أهل الفضل منازلهم.
- يتعاملون مع الناس بغلظة وجفاء.
- لا يَرَونَ إلا مصالحهم الخاصة.
- إن أُعْطُوا حظَّهم من الدنيا رَضوا وإن لم يُعْطَوا إذا هم يسخطون.

- أصحاب النظرة المثالية أكثر الناس إحباطًا وأشدّهم يأسًا وأقلهم إنجازًا.

(١) رواه مسلم (٨١٧) من حديث عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

أثر القصة في حياتي

الناس رجلان

رجلٌ محسن

فأَقْبَلُ إحسانه، ولا أُكلِّفه فوق طاقته، ولا ما يحرجه.

ورجُلٌ مسيء

فآمره بالمعروف، فإنْ تمادَى على ضلاله، واستمرَّ في جهله، فأعرِض عنه، فلعلَّ ذَلك أنْ يَرُدَّ كيدَه.

أَبذُل جُهدي في تعلّم العلم النافع، فالعلم هو الحصن المنيع من الوقوع في دائرة الجاهلين.

سأقوِّي علاقتي بالقرآن لأنه السلاح القوي في معركتي مع الجاهلين.

أُبرهن على حُبِّي للقرآن ولمَن تكلَّم به (الله)، ولمن أُنزل عليه (محمد ﷺ) بوقوفي عند آياته.

أُصاحب الصالحين الذين يذكروننـي بالحق ولو كان الحق مخالفًا لهوى النفس وشهوتها.

أحرص على صحبة أهل القرآن فهم خير بطانة لي في الدنيا والآخرة.

أقولُ الحقَّ وأحكم به ولو كان قول الحق والحكم به على أقرب الأقربين.

أعتقد أن إعراضي عن الجاهلين دليلُ قوة وليس دليلَ ضعف وهو أسْلَمُ طريق للنَّجاة من أذاهم وسَفَهِهِم.

إذا نَطَقَ السَّفِيهُ فلا تُجِبْهُ ... فخَيْرٌ مِنْ إجابتِهِ السُّكوتُ

فإنْ كَلَّمْتَه فرَّجْتَ عَنْهُ ... وإنْ خَلَّيْتَه كَمَدًا يَمُوتُ[1]

أعرف قدرَ مَن أُخاطب، وأستعمل الخطابَ الحسنَ، والأسلوب المناسب، لأن هذا حال المؤمن: « لَيْسَ الْمُؤْمِنُ بِالطَّعَّانِ وَلَا اللَّعَّانِ وَلَا الفَاحِشِ وَلَا البَذِيءِ ».[2]

أُدرِّبُ نفسي على اكتساب خُلق العفو وكظم الغيظ من خلال المواقف اليومية التي أتعرض لها.

لا أُضحي بأخلاقي أمام جاهل أو سفيه، وأتذكَّر العلاج «وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ».

أسألُ نفسي : كم موقف في حياتي أوقفتني فيه آية من كتاب الله ؟

(١) ديوان الإمام الشافعي (ص: ٤)

(٢) صحيح بطرقه: أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه(٣٠٩٧٤) والإيمان له(٧٩)، وأحمد(٣٨٣٩)،و الترمذي(١٩٧٧)، وأخرجه البخاري في الأدب(٣١٢)وابن أبي شيبة في مسنده(٣٥٥)، وابن أبي عاصم في السنة (١٠١٤) وأخرجه البزار (١٩١٤)، والطبراني في الكبير(١٠٤٨٣) ، وأخرجه أبو بكر الخلال في السنة (١١٩٠)

إرشادات للمربي

كلِّف طلابك بجمع مواقف من سيرة عمر رضي الله عنه تدل على عدله بين رعيته.

ناقِشْ طلابك في الفرق بين العفو والإعراض عن الجاهلين وبين الرضى بالذل والمهانة.

حاوِلْ أن تستخرج من كل طالب موقفًا تعامَل فيه بالعفو أو الإعراض عن جاهل.

حاور طلابك في كيفية تطبيق هذه الآية في حياتنا مع ذكر الأسباب والثمرات والمعوقات.

اطرح على طلابك هذه الأسئلة :

- ماذا لو أساء إليك شخص سواء كان صديقك أو زميلا لك أو جارك ؟
- ما هو الشعور الذي سينتابك وكيف تتصرف هل سترد الإساءة إليه الصاع صاعين وتحول من أساءوا إليك أعداء دائمين ؟

٨

لَا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ ﷺ

مِن حقِّ النبيّ ﷺ علينا أن نحقق محبته اعتقادًا وقولاً وعملاً، ونُقدمَها على محبة النفس والولد والوالد والناس أجمعين، ومِن صور هذه المحبة عدمُ رَفْعِ أصواتنا فوق صوته ﷺ حيًا وميتًا.

***

القصة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما قَالَ: كَادَ الخَيِّرَانِ(١) أَنْ يَهْلِكَا أَبُو بَكْرٍ وَعُمَرُ رضي الله عنهما رَفَعَا أَصْوَاتَهُمَا عِنْدَ النَّبِيِّ ﷺ حِينَ قَدِمَ رَكْبٌ مِنْ بَنِي تَمِيمٍ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه لِلنَّبِيِّ ﷺ: أَمِّرْ الْقَعْقَاعَ بْنَ مَعْبَدِ بْنِ زُرَارَةَ، وَقَالَ عُمَرُ رضي الله عنه: بَلْ أَمِّرْ الْأَقْرَعَ بْنَ حَابِسٍ فَقَالَ أَبُو بَكْرٍ لِعُمَرَ: مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي!. فَقَالَ عُمَرُ: مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ، فَتَمَارَيَا(٢) حَتَّى ارْتَفَعَتْ أَصْوَاتُهُمَا فِي ذَلِكَ فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرْفَعُوٓاْ أَصْوَٰتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ ٱلنَّبِيِّ﴾ [الحجرات: ٢] قَالَ ابْنُ الزُّبَيْرِ: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ(٣) لَمْ يُسْمِعْهُ حَتَّى يَسْتَفْهِمَهُ.(٤)

(١) الفاعلان للخير الكثير.
(٢) التماري هو: المجادلة والمخاصمة.
(٣) كأخي السرار: أي كصاحب السرِّار، والمعنى كالمناجي سِرا. وقوله: لا يُسمعه حتى يستفهمه تأكيد لمعنى قوله كأخي السرار: أي يخفض صوته ويبالغ حتى يحتاج إلى استفهامه عن بعض كلامه. فتح الباري لابن حجر (١٣/ ٢٨٠)
(٤) رواه البخاري (٤٨٤٥) و(٤٨٤٧)و (٧٣٠٢)

إضاءات حول القصة

◆ متى كان قدوم بني تميم ؟

كان قدوم بنو تميم سنة تسع من الهجرة وسُمي ذلك العام بعام الوفود.[١]

◆ الرجلان اللذان اختلف أبو بكر وعمر في تأميرهما هما:

- القعقاع بن مَعبَد بن زُرارة التميمي: من سادات العرب. له صحبة، مشهور بسخائه.[٢]
- الأقرع بن حابس بن عقال المجاشعي التميمي : صحابي، من سادات العرب في الجاهلية، أسلم وحَسُنَ إسلامُه، وهو من المؤلفة قلوبهم.[٣]

◆ لماذا أشار أبو بكر بالقعقاع وأشار عمر بالأقرع ؟

إنما أشار أبو بكر بتأمير القعقاع لأنه كان أرَقّ من الأقرع، وأشار عمر بالأقرع لأنه كان أجرأ من القعقاع، وكلٌّ أراد خيرًا.[٤]

◆ في قوله: فَكَانَ عُمَرُ بَعْدَ ذَلِكَ إِذَا حَدَّثَ النَّبِيَّ ﷺ بِحَدِيثٍ حَدَّثَهُ كَأَخِي السِّرَارِ.

لماذا خصَّ عمر بالذكر دون أبي بكر؟

خصَّ عمر رضي الله عنه بالذِّكْر لأنه كان جهوري الصوت بخلاف أبي بكر رضي الله عنه.[٥]

(١) تفسير ابن كثير (٧/ ٣٦٧)، وفتح الباري لابن حجر (٨/ ٥٩٠)
(٢) الاستيعاب في معرفة الأصحاب لابن عبد البر(٣/ ١٢٨٤)، الإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر(٥/ ٣٤٤)
(٣) الاستيعاب في معرفة الأصحاب (١/ ١٠٣)، الإصابة في تمييز الصحابة (١/ ٢٥٢)
(٤) التوضيح لشرح الجامع الصحيح لابن الملقن (٢١/ ٥٤٣) وعمدة القاري شرح صحيح البخاري للعيني (١٨/ ١٩)
(٥) حاشية السندي على مسند الإمام أحمد (١٥/ ١٧٠)

دلالات القصة

- أبو بكر وعمر «الخَيِّرَانِ» أُطلق عليهما الخَيَّران مِن كثرة مسارعتهما إلى الخير.
- شُهرةُ أبي بكر وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا بـ «الخَيِّرين» دليل على تقديم وتقدير الصحابة لهما.
- الكبار يختلفون ولكنهم لا يتدابرون ولا يتحاسدون ولا يتقاطعون.
- أبو بكرٍ وعمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا هما خير هذه الأُمةِ بعد نبيها ﷺ إلا أنهما قد يحدث منهما ما يَحدُثُ مِن البَشرِ، ويُوفقهما اللهُ للحق؛ ليَقتديَ بهما غيرُهما.
- «مَا أَرَدْتَ إِلَّا خِلَافِي !» .. «مَا أَرَدْتُ خِلَافَكَ» قد تنهار الأخوة بين الأخوين، بسبب كلمة تجرحه، أو موقف لا يُعجبه، والمطلوب منا في مثل هذه الحالة ان يراعي أحدنا تصرفه ، والآخر يحسن الظن بأخيه.
- الصحابة بشرٌ وربما يخطئون، وإذا تبين لهم الحق لا يعودون إلى الخطأ مرة أخرى.
- لا مجاملة في هذا الدين لأحد مهما كان شأنه ومهما ارتفعت مكانته.
- مهما كنتَ كبيرًا فلا تأمن على نفسك بعد قوله: ﴿أَن تَحْبَطَ أَعْمَٰلُكُمْ وَأَنتُمْ لَا تَشْعُرُونَ﴾.
- النَّهيُ عن السَّبْقِ والتقدُّمِ بالقولِ والرأيِ على النبيِّ ﷺ وضرورةُ انتظارِ أمْرِه وحُكمِه في كلِّ الأمورِ، قال تعالى : ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾ [الأحزاب: ٣٦].
- إذا كان رفع الصوت عند النبي ﷺ كاد أن يُهْلِك الخيِّرين، فما ظنُّك بمَن دونهما ؟!
- إذا كان رفع الصوت عند النبي ﷺ لمصلحة المسلمين يحبط العمل فما ظنك بالاستهزاء بسنة النبي ﷺ أو بحديثه، ولنحذر من قوله ﷺ: «فَمَنْ رَغِبَ عَنْ سُنَّتِي فَلَيْسَ مِنِّي»[1]

قال ابن القيم : إذا كان رفع الصوت فوق صوته ﷺ سببًا لحبوط الأعمال، فكيف بتقديم الآراء والعقول على ما جاء به ورفعها عليه ؟ أليس هذا أولى أن يكون محبطًا لأعمالهم؟!.[2]

(١) البخاري(٥٠٦٣)، مسلم(١٤٠١) من حديث أنس رضي الله عنه
(٢) إعلام الموقعين عن رب العالمين لابن القيم (١/ ٤١)

أدب قرآني رفيع : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾

◆ القرآن يعلم الصحابة كيف يخاطبون رسول الله ﷺ ؟

- كيف يتكلمون معه ؟
- كيف يتأدبون معه ؟
- كيف يستأذنونه ؟
- كيف يدخلون بيته ؟
- كيف يجلسون عنده ؟

إنْ دَلَّ هذا فإنما يَدُلُّ على أنَّ قدْر نبينا عند ربنا عظيم.

احترام الشرع ومَن جاء بالشرع ﷺ من أصول الإيمان.

قال القاضي أبو بكر بن العربي[1]: هذه الآية أصل في ترك التعرض[2] لأقوال النبي ﷺ، وإيجاب اتباعه، والاقتداء به.[3]

قال تعالى ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوۡلَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذَا دُعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحۡكُمَ بَيۡنَهُمۡ أَن يَقُولُواْ سَمِعۡنَا وَأَطَعۡنَاۚ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ﴾ [النور: ٥١].

لمَن التهدد في هذه الآية ﴿أَن تَحۡبَطَ أَعۡمَٰلُكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تَشۡعُرُونَ﴾ [الحجرات: ٢] ؟.

- لأبي بكر الذي قال فيه الرسول، ﷺ « لَوْ كُنْتُ مُتَّخِذًا خَلِيلًا لَاتَّخَذْتُ أَبَا بَكْرٍ خَلِيلًا ».[4]
- وعمر الذي قال فيه الرسول ﷺ: « وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا لَقِيَكَ الشَّيْطَانُ قَطُّ سَالِكًا فَجًّا إِلَّا سَلَكَ فَجًّا غَيْرَ فَجِّكَ ».[5]

ومع ذلك فإنهما تابا وأنابا واستغفرا وقالا لا نكلم الرسول ﷺ إلا سرًا كأخي السرار.

من الأساليب التربوية القرآنية : بيان الخطأ ﴿لَا تَرۡفَعُوٓاْ أَصۡوَٰتَكُمۡ﴾ ثم يأتي التوجيه لتصحيح الخطأ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ﴾.

من عظيم منزلة النبي ﷺ أنه لا يُسمح لأي أحد كان مهما بلغ شأنه أن يرفع صوته فوق صوت النبي ﷺ حيًّا أو ميِّتًا.

(١) القاضي محمد بن عبد الله أبو بكر بن العربي الاشبيلي المالكي (المتوفى: ٥٤٣هـ)
(٢) أي الاعتراض عليها برأي أو بقول.
(٣) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٤٥)
(٤) رواه البخاري (٤٦٦) ومسلم (٢٣٨٢) من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه.
(٥) رواه البخاري (٣٢٩٤) ومسلم (٢٣٩٦) من حديث سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه.

لم يَنْسَ عمر رضي الله عنه الدرس فبالأمسِ كان يُؤمَر بخفض الصوت عند النبي ﷺ واليوم يأمُر بخفض الصوت في مسجد النبي ﷺ، فعَنِ السَّائِبِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: كُنْتُ قَائِمًا فِي المَسْجِدِ فَحَصَبَنِي رَجُلٌ، فَنَظَرْتُ فَإِذَا عُمَرُ بْنُ الخَطَّابِ، فَقَالَ: اذْهَبْ فَأْتِنِي بِهَذَيْنِ، فَجِئْتُهُ بِهِمَا، قَالَ: مِنْ أَيْنَ أَنْتُمَا؟ قَالاَ: مِنْ أَهْلِ الطَّائِفِ، قَالَ: لَوْ كُنْتُمَا مِنْ أَهْلِ البَلَدِ لَأَوْجَعْتُكُمَا، تَرْفَعَانِ أَصْوَاتَكُمَا فِي مَسْجِدِ رَسُولِ اللهِ ﷺ!.(١)

أعظم ما يعصم المؤمن من رفع الصوت فوق صوت النبي ﷺ أن يمتلأ القلب بـ (تقوى الله) لذلك نبهنا الله في الآية التي تليها: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَغُضُّونَ أَصۡوَٰتَهُمۡ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ ٱمۡتَحَنَ ٱللَّهُ قُلُوبَهُمۡ لِلتَّقۡوَىٰۚ﴾.

رفع الصوت على حديث النبي ﷺ بعد وفاته مثل رفع الصوت عليه في حياته، فيجب الإنصات عند سماعه، كما لا يجوز الإعراض عنه أو الاعتراض عليه.
قال القاضي أبو بكر بن العربي: حُرْمة النبي ﷺ ميتًا كحرمته حيًّا، وكلامه المأثور بعد موته ككلامه المسموع من لفظه، فإذا قرئ كلامه، وجب على كل حاضر ألا يرفع صوته عليه، ولا يُعرض عنه.(٢)

البعض إذا سمع حديث النبي ﷺ يقول: أقنعني ؟! فهل هذا من الأدب ؟
قال أبو هريرة رضي الله عنه: «إِذَا سَمِعْتَ عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ حَدِيثًا، فَلَا تَضْرِبْ لَهُ الْأَمْثَالَ».(٣)

كره بعض العلماء رفع الصوت عند قبره ﷺ احترامًا لمكانته وإجلالًا له ﷺ.

ابن كثير(٤): قال العلماء: يُكره رفع الصوت عند قبره، كما كان يكره في حياته؛ لأنه محترم حيًّا وفي قبره ﷺ دائمًا.(٥)

لزوم الأدب مع من يحمل كتاب الله ويرثُ سنة رسوله ﷺ، فالعلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يُورِّثوا دينارًا ولا درهمًا وإنما ورَّثوا العلم(٦).

(١) رواه البخاري (٤٧٠)
(٢) أحكام القرآن لابن العربي (٤/ ١٤٦)
(٣) حسن: الترمذي (٧٩) وابن ماجه(٢٢، ٤٨٥) والبزار(٧٩٦٩) من طرق عن محمد بن عمرو بن علقمة، عن أبي سلمة بن عبد الرحمن عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي (المتوفى: ٧٧٤هـ)
(٥) تفسير ابن كثير(٧/ ٣٦٨)
(٦) حسن لغيره: جزء من حديث أبي الدرداء: الدارمي(٣٤٢)، وأبو داود(٣٦٤١)، وابن ماجه(٢٢٣)، وأحمد(٢١٧١٦)، والترمذي(٢٦٨٢)، وابن ماجه(٢٣٩).

- مـن أساء الأدب مع العلماء، فقد أساء الأدب مع الله ومع رسوله، لأن ذلك لن يقف عند أشخاصهم بل سيتعدى إلى ما يحملونه من علم الكتاب والسنة.
- فليحذر الذين يُسيئون إلى العلماء من مغبة ذلك في الدنيا قبل الآخرة.

قال الحافظ ابن عساكر[1]: اعلم يا أخي وفقنا الله وإياك لمرضاته، وجعلنا ممن يخشاه ويتقيه حق تقاته، أنَّ لُحومَ العُلماءِ مَسمومة، وعادةَ اللهِ في هَتْكِ أَستارِ مُنتقِصيهم مَعلومة، فمَنْ أَطْلَقَ لسانَه في العلماءِ بالثَّلْبِ[2] ابْتَلاه اللهُ تعالى قبْلَ مَوتِه بموتِ القلب.[3]

أثر القصة في حياتي

- اعرف قدر نبيكَ ﷺ ومكانته، فإن الذي رفع قدره على العالمين هو الله تعالى.
- تعلَّم الأدب عند سماع حديث النبي ﷺ فلا تَرفع صوتًا ولا تُكذب خبرًا ولا تردَّ حُكمًا.
- احذر أن تردَّ حديثًا للنبي ﷺ بمجرد أن عقلك لم يستوعبه أو لظنِّكَ أنه لا يتناسب مع الواقع ؟!
- إذا جاءك الحديث عن النبي ﷺ فإياك أن تُقدِّم قولًا أو ذوقًا أو عرفًا على كلامه ﷺ. واقتدِ بأبي بكر الصديق حين أعلنها قائلًا: لَسْتُ تَارِكًا شَيْئًا كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ يَعْمَلُ بِهِ، إِلَّا عَمِلْتُ بِهِ، إِنِّي أَخْشَى إِنْ تَرَكْتُ شَيْئًا مِنْ أَمْرِهِ أَنْ أَزِيغَ.[4]
- أيُّ نداء في القرآن للمؤمنين فاعتبِرْهُ موجَّهٌ لكَ أنتَ، فتدبَّرْه جيدًا، وسارِعْ في امتثاله.
- وَقِّرِ العلماءَ المخلصين وأنزلهم منزلتهم، لأنهم ورثة الأنبياء وتوقيرهم من توقير الشريعة.
- احذر الصفحات والقنوات التي تُشنِّع على العلماء الربانيين وتنتقص من قدرهم.

---

(١) أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن عساكر (المتوفى: ٥٧١هـ)
(٢) أي السب والعيب والتنقيص.
(٣) تبيين كذب المفتري فيما نسب إلى الإمام أبي الحسن الأشعري، للحافظ ابن عساكر(ص: ٢٩ و ٤٢٥)
(٤) رواه البخاري (٣٠٩٣) ومسلم (١٧٥٩)

عندما تختلف مع أخ لك في مسألة، فلا تنسَ رابطة الأخوة الإسلامية التي تجمعكما.

قال تعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ولقوله ﷺ: « مَثَلُ الْمُؤْمِنِينَ فِي تَوَادِّهِمْ، وَتَرَاحُمِهِمْ، وَتَعَاطُفِهِمْ مَثَلُ الْجَسَدِ..».(١)

قال يونس بن عبد الأعلى الصدفي(٢): ما رأيتُ أعقلَ من الشافعي، ناظرتُه يومًا في مسألة، ثم افترقنا، ولقيني، فأخذ بيدي، ثم قال: يا أبا موسى، ألا يستقيم أن نكون إخوانًا وإن لم نتفق في مسألة ؟.

علَّق الذهبي على هذه الحادثة فقال: هذا يدلُّ على كمال عقل هذا الإمام «الشافعي»، وفقْهِ نفسِه، فما زال النظراء يختلفون.(٣)

عوِّد نفسَك على الاعتراف بالخطأ والرجوع السريع إلى الحق إذا تبيَّن لك.

قال تعالى ﴿قَالَا رَبَّنَا ظَلَمْنَآ أَنفُسَنَا وَإِن لَّمْ تَغْفِرْ لَنَا وَتَرْحَمْنَا لَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾﴾ [الأعراف: ٢٣]

وليكن دعاؤك «أَنَا عَبْدُكَ، ظَلَمْتُ نَفْسِي، وَاعْتَرَفْتُ بِذَنْبِي، فَاغْفِرْ لِي ذُنُوبِي جَمِيعًا، إِنَّهُ لَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ..».(٤)

إذا أخطأ أخوك فنادِهِ بأحبِّ الأسماء إليه تأليفًا لقلبه، فحين ارتفعت الأصوات عند حبيب الله محمد ﷺ يناديهم ربُّهم بأحبِّ الأوصاف إليهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَرْفَعُوٓا۟ أَصْوَٰتَكُمْ﴾ [الحجرات: ٢]

إرشادات للمربي

تَدارس مع طلابك الآداب التي وردت في سورة الحجرات فهي في غاية النفع.

اجمع طلابك لحفظ صحيح حديث النبي ﷺ وعلمهم أدب التعامل مع السُّنة.

عوِّد طلابك على الرجوع عن الخطأ واتباع الحق كما كان حال الصحابة.

(١) مسلم(٢٥٨٦) من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنه

(٢) شيخ الإسلام، أبو موسى المصري ثقة فقيه محدث مقرئ ، من العقلاء النبلاء توفي سنة ٢٦٤ هـ ، سير أعلام النبلاء (١٢/ ٣٤٨)، تقريب التهذيب (ص: ٦١٣)

(٣) سير أعلام النبلاء (١٠/ ١٦)

(٤) مسلم(٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

٩

أَيُّنَا لَا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟

هل سمعتَ عن أعظمِ نعمتين أنعم اللهُ تعالى بهما على عبدٍ مِن عباده ؟

وهل سمعتَ عن أكبر سبب لزوال تلك النعمتين ؟

آيةٌ في كتاب الله تجمع لك كل ذلك..

***

القصة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بْنِ مَسْعُودٍ رضي الله عنه قَالَ : لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ : ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ[1] إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ﴾ [الأنعام: ٨٢]، شَقَّ ذَلِكَ عَلَى أَصْحَابِ رَسُولِ اللهِ ﷺ، وَقَالُوا : يَا رَسُولَ اللهِ أَيُّنَا لاَ يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ « لَيْسَ كَمَا تَظُنُّونَ إِنَّمَا هُوَ الشِّرْكُ، أَلَمْ تَسْمَعُوا مَا قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ : ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِۖ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣] ».[2]

(١) وَلَمْ يَلْبِسُوا: أي لم يخلطوا. التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٣/ ٤٠)

(٢) رواه البخاري (٣٤٢٩) ومسلم (١٢٤)

إضاءات حول القصة

◆ مَن هو لقمان؟

اتفق العلماء أنه كان حكيمًا ولم يكن نبيًّا إلا عكرمة فإنه قال: كان لقمان نبيًّا؛ وقد تفرد بهذا القول.(١)

ولكنَّ الله تعالى وصَفَه بوصف يحتاجه كلُّ مُرَبٍّ في تعامُله مع مَن يربيه، فقد وصَفَه بالحكمة فقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا لُقْمَٰنَ ٱلْحِكْمَةَ أَنِ ٱشْكُرْ لِلَّهِ﴾ [لقمان: ١٢]

والحكمةُ رِزق عظيم يؤتيه الله من يشاء من عباده: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾ [البقرة: ٢٦٩]

◆ ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَلَمْ يَلْبِسُوٓا۟ إِيمَٰنَهُم بِظُلْمٍ أُو۟لَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلْأَمْنُ وَهُم مُّهْتَدُونَ ﴿٨٢﴾﴾ [الأنعام: ٨٢]

الآية جمعت أعظم نعمتين .. وسبب تحصيلهما .. وسبب زوالهما

- **النعمتان :** الأمن والهداية
- **سبب تحصيلهما :** تحقيق الإيمان والإخلاص في التوحيد
- **سبب زوالهما :** الشرك بالله تعالى.

◆ هل كل مُوحِّد يحصل له الأمن الكامل والهداية التامة ولو كان عاصيًا ؟

الأمن على نوعين :

١ **الأمن التام :** وهذا لمن كان إيمانه كاملاً ولم يلبسه بشرك ولا بمعصية، فهو مستحق للأمن التام والهداية التامة.

٢ **أصل الأمن :** وهذا لمن جاء بالتوحيد لكن في عمله من الذنوب والمعاصي مما يوجب نقص الإيمان، فله أصل الأمن وأصل الهداية دون تمامها.

(١) تفسير البغوي «معالم التنزيل» (٣/ ٥٨٧)، شرح النووي على مسلم (٢/ ١٤٤)، وقول عكرمة أخرجه الطبري في تفسيره (٢٠/ ١٣٦) وفيه جابر الجعفي: رافضي متهم، متروك الحديث. التلخيص الحبير (٢/ ١٩٧)

قال الشيخ السعدي : فإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بظلم مطلقًا، لا بشرك، ولا بمعاص، حصل لهم الأمن التام، والهداية التامة. وإن كانوا لم يلبسوا إيمانهم بالشرك وحده، ولكنهم يعملون السيئات، حصل لهم أصل الهداية، وأصل الأمن، وإن لم يحصل لهم كمالها.[1]

وحاصل الأمر أنه كلما كان توحيد العبد وإيمانه وبعده عن المعاصي أتم كلما عظم أمنه وهدايته.

دلالات القصة

- تأمل كيف تفاعل الصحابة مع آيات القرآن، فسياق الآيات في قصة إبراهيم ومحاجته لقومه، ولكن الصحابة علموا أنَّ مقصود القصص القرآني الاعتبار والامتثال فنزَّلوها على أنفسهم وشقَّتْ عليهم، فجاؤوا ليستفهموا من رسول الله ﷺ.

- الجمع بين الأدلة في المسألة الواحدة من أهم الأمور للوصول إلى الفهم الصحيح. فالصحابة فهموا الظلم على أنه المعاصي والنبيُّ ﷺ أَوْرَدَ لهم من النصوص ما يَدُلُّ على أن الظلم يُطلق على الشرك أيضًا.

إضاءة

نصوص الشرع كالكلمة الواحدة إذا اجُمعتْ حروفُها تبيَّن معناها، وإذا تفرَّقَتْ لم يتبيَّن معناها.

أكثر الفرق التي ضلت كان سبب ضلالهم

- إما فصل النصوص بعضها عن بعضها.
- أو بتْر النصّ الواحد وقطعه حتى لا يظهر معناه المراد.

- وجود العالم الرباني والمربي الناصح عصمة لمن حوله من المضلات وإزالة للإشكالات.

(١) تفسير السعدي (ص: ٢٦٣)

الحديث دليل على فضل التوحيد وأنه أعظم سبب على الإطلاق للجمع بين سعادة الدنيا والآخرة، لأن منشأ السعادة في الدارين (الأمن والهداية) قال الله تعالى:

﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يَلۡبِسُوٓاْ إِيمَٰنَهُم بِظُلۡمٍ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمُ ٱلۡأَمۡنُ وَهُم مُّهۡتَدُونَ ٨٢﴾ [الأنعام: ٨٢]

قال ابن كثير: أي: هؤلاء الذين أخلصوا العبادة لله وحده لا شريك، له، ولم يشركوا به شيئا هم الآمنون يوم القيامة، المهتدون في الدنيا والآخرة.(١)

الحديث دليل على عظم جُرم الشرك وأنه مُوجبٌ لحرمان الأمن والهداية وسبب للخوف والقلق، قال الله تعالى: ﴿سَنُلۡقِي فِي قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلرُّعۡبَ بِمَآ أَشۡرَكُواْ بِٱللَّهِ﴾ [آل عمران: ١٥١] وأما أهل التوحيد فهم أهل الأمن في الآخرة والهداية في الدنيا والآخرة.

أُولى وصايا لقمان لابنه وهو يعظه ﴿يَٰبُنَيَّ لَا تُشۡرِكۡ بِٱللَّهِ﴾ وهي وصية الأنبياء جميعًا إلى أممهم.

بيان لمراتب الظلم وتفاوتها :

١ الشرك بالله، وهو أعظم الظلم، قال الله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ﴾ [لقمان: ١٣]

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه قَالَ: قُلْتُ يَا رَسُولَ اللهِ، أَيُّ الذَّنْبِ أَعْظَمُ؟ قَالَ: « أَنْ تَجْعَلَ لِلَّهِ نِدًّا وَهُوَ خَلَقَكَ ».(٢)

٢ ظلم العبد نفسه بالمعاصي، قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ أَوۡرَثۡنَا ٱلۡكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصۡطَفَيۡنَا مِنۡ عِبَادِنَاۖ فَمِنۡهُمۡ ظَالِمٞ لِّنَفۡسِهِۦ وَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞ وَمِنۡهُمۡ سَابِقُۢ بِٱلۡخَيۡرَٰتِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَضۡلُ ٱلۡكَبِيرُ﴾ [فاطر: ٣٢]

٣ ظلم العبد لغيره، وهو ظلم العباد بعضهم لبعض، قال تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ﴾ [الشورى: ٤٢]

وقد يطلق الظلم ولا يراد به المعصية، قال تعالى: ﴿وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ يَظۡلِمُونَ﴾ [البقرة: ٥٧] ﴿وَمَا ظَلَمُونَا﴾ أي: ما نقصونا بكفرهم شيئًا.

(١) تفسير ابن كثير (٣/ ٢٩٤)
(٢) رواه البخاري (٤٤٧٧) ومسلم(٨٦)

إضاءة

قال ابن تيمية[1]: الظلم ثلاثة دواوين: ديوان لا يغفر الله منه شيئًا، وديوان لا يترك الله منه شيئًا، وديوان لا يعبأ الله به شيئًا.

- فأما الديوان الذي لا يغفر الله منه شيئًا : فهو الشرك؛ فإن الله لا يغفر أن يُشرك به.
- وأما الديوان الذي لا يَترك اللهُ منه شيئًا : فهو ظلمُ العباد بعضِهم بعضًا؛ فإن الله لابد أن يُنصف المظلوم من الظالم.
- وأما الديوان الذي لا يعبأ الله به شيئًا : فهو ظلمُ العبدِ نفسَه فيما بينه وبين ربه فإن شاء عَذَّب هذا الظالم لنفسه وإنْ شاء غفر له.[2]

الحديث دليل على شدة خوف الصحابة رضي الله عنهم وذلك لمشقة ما فهموه من الآية.

الحديث دليل على عدم عصمة الصحابة من الذنوب حيث قالوا : «أَيُّنا لا يَظْلِمُ نَفْسَهُ ؟»، ولكنهم سرعان ما يرجعون، وقد أثنى عليهم رب العالمين، ورضي عنهم.

أهمية الرجوع لأهل العلم الراسخين عند الاشتباه، وهذا ما فعله الصحابة رضي الله عنهم حين رجعوا للنبي ﷺ فيما شق عليهم وفهموه، ثم بيَّن لهم النبي ﷺ غيرَ ما فهموه.

الحديث دليل على نوع من أنواع التفسير وهو أشرفها وأهمها وهو تفسير القرآن بالقرآن، وهذا ظاهر من تفسير النبي ﷺ للآية التي شَقَّت على الصحابة رضي الله عنهم بآية أخرى.

ومن أنواع تفسير القرآن أيضًا : تفسير القرآن بصحيح سنة النبي ﷺ ثم بالثابت عن الصحابة رضي الله عنهم ثم عن التابعين لهم بإحسان.

(١) أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام الحراني الحنبلي الدمشقي (المتوفى: ٧٢٨هـ)
(٢) مجموع الفتاوى (١٨/ ١٦١)

قول لقمان لابنه: ﴿يَٰبُنَيَّ﴾

كلمة تحمل كلّ معاني الاستعطاف والحرص والشفقة والرحمة، وهي أيضا تذكيرٌ بالصلة الوثيقة التي تربط بين المتكلم والسامع وهي «صلة البُنوة» التي هي من أوثق الصلات بين بني الإنسان؛ فهذه الكلمة تكسر كلّ حواجز وموانع التمرد من قِبَل الأبناء لذلك انتهَجها إبراهيم مع ابنه إسماعيل حين أمره الله بذبحه، قال تعالى: ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰ﴾ فما كان لهذا الابن البار بأبيه إلا أن يُبادله هذا الحبّ والاستعطاف، فيقول: ﴿يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُ﴾ [الصافات: ١٠٢].

وكذلك ينتهجها نوح عليه السلام مع ابنه الكافر المعاند، قال تعالى: ﴿وَنَادَىٰ نُوحٌ ٱبۡنَهُۥ وَكَانَ فِي مَعۡزِلٖ يَٰبُنَيَّ ٱرۡكَب مَّعَنَا وَلَا تَكُن مَّعَ ٱلۡكَٰفِرِينَ﴾ [هود: ٤٢]

وهذا رسول الله ﷺ يستخدمها مع غلام يخدمه، فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ لِي رَسُولُ اللهِ ﷺ: «يَا بُنَيَّ»[1]، وكأن أنسًا رضي الله عنه يفخر بها ويتباهى؛ وحُقَّ له ذلك.

أثر القصة في حياتي

- لا أغترّ بقوة إيماني، ولا أُزكّي نفسي، فالصحابة وهم خير القرون، قالوا: «أَيُّنَا لا يَظْلِمُ».

قَالَ إِبْرَاهِيمُ التَّيْمِيُّ: مَا عَرَضْتُ قَوْلِي عَلَى عَمَلِي إِلَّا خَشِيتُ أَنْ أَكُونَ مُكَذِّبًا، وَقَالَ ابْنُ أَبِي مُلَيْكَةَ: أَدْرَكْتُ ثَلَاثِينَ مِنْ أَصْحَابِ النَّبِيِّ ﷺ، كُلُّهُمْ يَخَافُ النِّفَاقَ عَلَى نَفْسِهِ.[2]

- أتعلَّمُ التوحيد والعقيدة الصحيحة عن طريق القراءة أو السماع للعلماء المتخصصين.
- أَحْذَرُ الشركَ بجميع صوره، وخاصةً الرياء «الشرك الخفي» وهو البحر الذي لا ساحل له وقلَّ مَنْ ينجو منه.
- أَحرِصُ على لزوم شيخ مُربٍّ يصحح لي فهمي ويَدُلّني على الطريق الموصِّل إلى الله.

(١) رواه مسلم (٢١٥١) من حديث أنس رضي الله عنه.
(٢) أخرجه البخاري تعليقًا في صحيحه كتاب الإيمان؛ باب خوف المؤمن من أن يحبط عمله وهو لا يشعر

القصة علمتني

- المسارعة إلى التنفيذ دأبُ الصحابة ومَن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين.
- التربية السليمة تبدأ بتصحيح الاعتقاد وهذا هو منهج الأنبياء كافة.
- ذِكْرُ عواقب وخطورة الذنب أدْعَى لتركه والبعد عنه: ﴿ إِنَّ ٱلشِّرۡكَ لَظُلۡمٌ عَظِيمٞ ﴾.

القصة تناديني

تفاعَلْ مع آيات القرآن، وسارع إلى تطبيق أوامر الرحمن؛ لتكون من أهل الهُدى والأمان.

إذا أردتَ سعادة دائمة فعليك بأصل سعادة الدنيا والآخرة: الأمن والهداية.

أمنك .. هدايتك .. توفيقك .. سعادتك .. مصدرها واحد : قوة إيمانك وصحة توحيدك.

اليقظة الداخلية مهمة في تصحيح مسارك إلى الله.

تعلَّم مراتب التفسير وأولاها تفسير القرآن بالقرآن.

أكثر من هذا الدعاء: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أُشْرِكَ بِكَ وَأَنَا أَعْلَمُ، وَأَسْتَغْفِرُكَ لِمَا لَا أَعْلَمُ.

إرشادات للمربي

رَكِّز مع طلابك على بيان أهمية (التوحيد – الإيمان – الإخلاص).

وضِّحْ لطلابك أهمية ملازمة الشيخ المُربي في الوصول إلى طريق الهداية.

اختر رسالة مختصرة في العقيدة وتدارَسْها مع طلابك.

نوِّع في أساليب التعامل مع طلابك: مرةً بالسؤال .. ومرةً بالعصف الذهني .. ومرةً بإيراد قصة.

الفصل الرابــع

القــرآن..
والتغلب على شهوة النفس

قَصَصُهُمْ مَعَ القُرآن

١٠

إِنَّ الحَسَناتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئاتِ

في مشهد لرجل مِن عامة الصحابة يقف في بستان من بساتين المدينة، وبالتحديد في أقاصيها، بعيدًا عن أعين الناس، هذا الرجل لم ينفك عن بشريَّتِه وإنسانيته، فإذا هو أمام امرأة أجنبية قد جَمُلَتْ في عينِه هيْئَتُها، وفي لحظةٍ ضَعُفَ فيها الإيمان، ومراقبة الملك الديان، وكان ثالثهما الشيطان؛ حَثَّته نفسُه على فعل السوء، ففعل هذا الرجل ما شاء أن يفعل إلا أنه لم يَزْنِ بها.

وبعد زوال سكرةِ الشهوة

عاد الرجلُ إلى رُشْدِه، وأحسَّ بمرارةِ جُرمِه، فأَسِفَ وتحسَّرَ ونَدِم ففكَّر ثم قرَّر أن يبوح بهذه الحادثة لصاحب القلب الرحيم ﷺ فغدا الرجل حتى أتى رسول الله ﷺ ولسانُ حاله ومقاله :

لِيَصْنَع بي رسولُ اللّه ما شاء

فماذا كان الجواب ؟ ..

القصة

عَنْ عَبْدِ اللهِ بن مسعود رضي الله عنه ، قَالَ: جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ، فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ إِنِّي عَالَجْتُ امْرَأَةً فِي أَقْصَى الْمَدِينَةِ، وَإِنِّي أَصَبْتُ مِنْهَا مَا دُونَ أَنْ أَمَسَّهَا [1]، فَأَنَا هَذَا، فَاقْضِ فِيَّ مَا شِئْتَ، فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: لَقَدْ سَتَرَكَ اللهُ، لَوْ سَتَرْتَ نَفْسَكَ، قَالَ: فَلَمْ يَرُدَّ النَّبِيُّ ﷺ شَيْئًا، فَقَامَ الرَّجُلُ فَانْطَلَقَ، فَأَتْبَعَهُ النَّبِيُّ ﷺ رَجُلًا دَعَاهُ، وَتَلَا عَلَيْهِ هَذِهِ الْآيَةَ: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ ذَٰلِكَ ذِكۡرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ ١١٤﴾ [هود: ١١٤] فَقَالَ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ: يَا نَبِيَّ اللهِ هَذَا لَهُ خَاصَّةً ؟ قَالَ: «بَلْ لِلنَّاسِ كَافَّةً» [2]

إضاءات حول القصة

مواقف مشرقة

موقف راوي الحادثة عبد اللَّه بن مسعود رضي الله عنه

لم يُصرِّح باسم الرجل ولا المرأة حرصًا منه على سترهما وعدم فضحهما.

موقف الرجل صاحب القصة

- ندم واعترف بذنبه.
- استسلم لحكم الشرع.
- لم يفضح المرأة.

موقف النبي ﷺ المربي الأعظم

- لم يُعنِّف الرجل مع شدة غيرته ﷺ على محارم الله.
- فتح للرجل باب التوبة.
- سكتَ ولم يُفتِ في المسألة حتى نزل الوحي.

(١) معنى عالجها أي تناولها واستمتع بها والمراد بالمس الجماع ومعناه استمتعت بها بالقبلة والمعانقة وغيرهما من جميع أنواع الاستمتاع إلا الجماع. شرح النووي على مسلم (١٧/ ٨٠)

(٢) البخاري(٤٦٨٧)، مسلم(٢٧٦٣)

ما المقصود بإذهاب السيئات ؟

إذهاب السيّئات يشمل أمرين

إذهابُ حبِّها من القلب

محو إثمها إذا وقعت

١ إذهاب حبها من القلب، بحيث يكرهها العبد ولا يحبها، ويصير تركُها سَهْلًا وهيّنًا على نفسه، كقوله تعالى: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ ٱلْإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِى قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ ٱلْكُفْرَ وَٱلْفُسُوقَ وَٱلْعِصْيَانَ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلرَّٰشِدُونَ﴾ [الحجرات: ٧]

٢ محو إثمها إذا وقعت، فضلاً من الله على عباده التائبين.

ما هي الحسنات التي تذهب السيئات ؟

التوبة النصوح

جميع الأعمال الصالحة

أ إذا كان المقصود بالحسنة التوبة الصادقة، سواء من الشرك، أو من المعاصي، فإن حسنة التوبة النصوح لا تُبقي سيئة إلا محتها وأذهبتها، قال تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾ يُضَٰعَفْ لَهُ ٱلْعَذَابُ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِۦ مُهَانًا ﴿٦٩﴾ إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُو۟لَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا ﴿٧٠﴾﴾[الفرقان:٦٨-٧٠]

ب وإذا كان المقصود بالحسنات عموم الأعمال الصالحة كالصلاة والصيام، فإن القرآن والسنة يدلان على أن تكفير الحسنات للسيئات مشروطٌ باجتناب الكبائر، قال تعالى: ﴿إِن تَجْتَنِبُوا۟ كَبَآئِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّـَٔاتِكُمْ﴾ [النساء: ٣١]

وفي حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ كَانَ يَقُولُ: « الصَّلَوَاتُ الْخَمْسُ، وَالْجُمْعَةُ إِلَى الْجُمْعَةِ، وَرَمَضَانُ إِلَى رَمَضَانَ، مُكَفِّرَاتٌ مَا بَيْنَهُنَّ إِذَا اجْتَنَبَ الْكَبَائِرَ »[١].

قال ابن بطال[٢]: أهل السنة مجمعون على أن الكبائر لابد فيها من التوبة والندم والإقلاع والعزم على عدم العودة إليها.[٣]

(١) رواه مسلم (٢٣٣)
(٢) أبو الحسن علي بن خلف بن عبد الملك (المتوفى: ٤٤٩هـ)
(٣) شرح صحيح البخاري لابن بطال (٢/ ١٥٥) بنحوه

دلالات القصة

مجتمع الصحابة لم يكن مجتمعًا ملائكيًّا؛ فالصحابة بشرٌ يعتريهم ما يعتري البشر، ولكنهم إذا أخطأوا سرعان ما يرجعون إلى الله؛ وما قصة ماعز والغامدية رضي الله عنهما منَّا ببعيد.

مهما بلغت مكانة العبد فلا يأمن على نفسه الوقوع في الزلل؛ واعتَبِرْ بأن القصة وقعت لصحابي من الصحابة الذين هم خير القرون.

إضاءة

المجتمع النظيف المتحضر:
يأتي الجاني ليعترف بجنايته، ويطالب بإقامة شرع الله عليه.

ومَنْ يَأمنُ البلاءَ بعد قول إبراهيم خليل الرحمن: ﴿وَٱجۡنُبۡنِي وَبَنِيَّ أَن نَّعۡبُدَ ٱلۡأَصۡنَامَ﴾ [إبراهيم: ٣٥].

شدة خوف الصحابة رضي الله عنهم مِن مَغَبَّةِ[١] الذَّنْبِ وأثره، وهكذا المؤمن يرى ذنبَه مَهْلَكة. يقول أَنَس بن مالك رضي الله عنه: إِنَّكُمْ لَتَعْمَلُونَ أَعْمَالًا، هِيَ أَدَقُّ فِي أَعْيُنِكُمْ مِنَ الشَّعَرِ[٢]، إِنْ كُنَّا لَنَعُدُّهَا عَلَى عَهْدِ النَّبِيِّ ﷺ مِنَ المُوبِقَاتِ. أي مِن المُهْلِكَاتِ.[٣]

بقدرِ إيمان العبدِ وتقواه، وخوفه من ربِّه ومولاه، يَعْظُم الذَّنْبُ في قلبه ولو كان صغيرًا، يقول: عَبْدُ اللهِ بْنُ مَسْعُودٍ رضي الله عنه: إِنَّ المُؤْمِنَ يَرَى ذُنُوبَهُ كَأَنَّهُ قَاعِدٌ تَحْتَ جَبَلٍ يَخَافُ أَنْ يَقَعَ عَلَيْهِ.[٤]

ينبغي للمؤمن أن يَنْأَى بنفسه عن مواطن الفتن؛ فمَنْ قَارَبَ الفتنةَ، بَعُدَتْ عنه السلامة، ومَن ادَّعَى الصبرَ، وُكِلَ إلى نفسه.[٥]

مخالطةُ النساء الأجنبيات أخطر فتنة على الرجال، وفي الحديث: «مَا تَرَكْتُ بَعْدِي فِتْنَةً أَضَرَّ عَلَى الرِّجَالِ مِنَ النِّسَاءِ».[٦]

(١) عاقبة
(٢) كناية عن احتقارهم لها واستهانتهم بها.
(٣) رواه البخاري (٦٤٩٢)، المهلكات هي: الذنوب الكبيرة.
(٤) رواه البخاري (٦٣٠٨)
(٥) صيد الخاطر لابن الجوزي(ص: ٢٦)
(٦) رواه البخاري (٥٠٩٦) ومسلم (٢٧٤٠)من حديث أسامة بن زيد رضي الله عنه.

المرأةُ مهما عَظُمَت منزلتُها فربما تقع في المحظور، فهذه صحابية وقد وقعت فيما وقعت فيه، فمَن دونها أكثر عرضةً للوقوع في الذنب، لذلك كان الستر أولى في حقهن؛ وفي الحديث « المَرْأَةُ عَوْرَةٌ، فَإِذَا خَرَجَتْ اسْتَشْرَفَهَا[1] الشَّيْطَانُ ».[2]

ضرورةُ المبادرة بالندم والتوبة إذا حلَّ الذنب ووقعت المعصية، والحذر من التأجيل والتأخير؛ قال سبحانه عن عباده المتَّقين، الموْعودين بجنَّة عرْضها السَّموات والأرض: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ وَمَن يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ إِلَّا ٱللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا۟ عَلَىٰ مَا فَعَلُوا۟ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿١٣٥﴾﴾ [آل عمران: ١٣٥]

كلَّما كانت الحسنة من جنس السيّئة كان ذلك أبلغ في تكفير السيئة وإذهابها، فإنْ كانت السيّئة من خطايا اللّسان، فليُكثر العبدُ من طاعة الله بلسانه، وإن كانتْ خطيئته سماعَ حرام، فليستمع إلى القرآن.. وهكذا؛ قال شيخ الإسلام[3]: ينبغي أن تكون الحسناتُ مِن جنس السيئات، فإن ذلك أبلغ في محو السيئات.[4]

ليس الشأن في الاعتراف بالذنب فقط، ولكن الشأن في المبادرة إلى محو الذنب بالحسنة.

من علامات توفيق الله تعالى لعبده أن يبادر بالصالحات إذا وقعتْ منه السيئات.

قال تعالى في سياق الثناء على أهل الجنة: ﴿وَيَدْرَءُونَ بِٱلْحَسَنَةِ ٱلسَّيِّئَةَ﴾ [الرعد: ٢٢] ، أي: يدفعون القبيح بالحسن، فإذا آذاهم أحد قابلوه بالجميل صبرًا واحتمالًا وصفحًا وعفوًا.[5]

لن يمحو ظلمة المعصية عن القلب إلا نور الحسنة؛ وأنه لا طاقةَ لظلام المعاصي مع نور الحسنات كما لا طاقةَ لظلام الليل مع نور النهار.

---

(١) زينها في نظر الرجال

(٢) صحيح: من حديث ابن مسعود أخرجه الترمذي(١١٧٣)، والبزار في مسنده(٢٠٦١)، وابن خزيمة في صحيحه(١٦٨٧،١٦٨٥) ،والطبراني في الأوسط(٨٠٩٦) من طرق عن قتادة عن مورق العجلي عن أبي الأحوص عن ابن مسعود رضي الله عنه به. مرفوعًا ومن حديث ابن عمر رضي الله عنهما أخرجه الطبراني في الأوسط (٢٨٩٠) قال حدثنا إبراهيم (بن هاشم البغوي)، أنا عاصم بن النضر، أنا معتمر بن سليمان، عن أبيه، عن قتادة، عن سالم بن عبد الله، عن أبيه به . مرفوعًا

(٣) أبو العَباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام ابن تيمية (المتوفى: ٧٢٨هـ)

(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية (١٠/ ٦٥٥)

(٥) تفسير ابن كثير (٤/ ٤٥١).

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِنَّ العَبْدَ إِذَا أَخْطَأَ خَطِيئَةً نُكِتَتْ فِي قَلْبِهِ نُكْتَةٌ سَوْدَاءُ، فَإِذَا هُوَ نَزَعَ وَاسْتَغْفَرَ وَتَابَ سُقِلَ قَلْبُهُ، وَإِنْ عَادَ زِيدَ فِيهَا حَتَّى تَعْلُوَ قَلْبَهُ، وَهُوَ الرَّانُ الَّذِي ذَكَرَ اللهُ ».(١)

- إدمانُ الطاعات يُذهبُ حبَّ المعاصي من القلب: ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ حَبَّبَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡإِيمَٰنَ وَزَيَّنَهُۥ فِي قُلُوبِكُمۡ وَكَرَّهَ إِلَيۡكُمُ ٱلۡكُفۡرَ وَٱلۡفُسُوقَ وَٱلۡعِصۡيَانَ﴾[الحجرات:٧]

- أَوَّلُ الحسنات الماحيات التوبة: ﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلٗا صَٰلِحٗا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمۡ حَسَنَٰتٖ﴾[الفرقان:٧٠]

- مهما كان ذَنْبُ العبدِ فلا يَظُنَّنَ أن الله لا يغفر له لأن هذا سوء ظن بالله.

إضاءة

التَّهلكة: الرجل يصيبُ الذنبَ العظيم فيستسلم، يقول: لا توبة لي! فيلقي بيده، ويَرى أنه قد هلك(٢).

- الستر على العاصي واجب إسلامي

وخُلُق إنساني، فلم تنقل لنا روايات الحديث أن النبي ﷺ سأل عن المرأة أو أمر بإحضارها للاعتراف أمامه.

- هذا الصحابي لم يُجاهر بمعصيته، ولم يحدث بها إلا طلبًا للتخلص من أثرها؛ فالمجاهرة بالمعصية معصية أخرى، وما ظلم عبد نفسه بمثل استعلانه بالآثام، ومباهاته بالحرام، وفي الحديث: « كُلُّ أُمَّتِي مُعَافًى إِلَّا المُجَاهِرِينَ ».(٣)

- ومن أخطر صور المجاهرة، نَشْرُ المعصية على الصفحات والقنوات ليشاهدها الملايين من الناس.

(١) حسن: أخرجه أحمد (٧٩٥٢) وابن ماجه (٤٢٤٤) والترمذي (٣٣٣٤) والنسائي في ﴿اليوم والليلة﴾ (٤١٨) من طرق عن محمد بن عَجلان المدني عن القعقاع بن حكيم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه به.
(٢) صحيح: أخرجه الطبري في تفسيره (٣/ ٥٨٩) عن عبيدة السلماني به. ثبت من كبار التابعين توفي سنة ٧٠ هـ
(٣) رواه البخاري (٦٠٦٩) ومسلم (٢٩٩٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أعظمُ ما يعصمك من الوقوع في الذنوب المحافظة على الصلوات وخاصة صلاتي «الفجر والعصر» ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ طَرَفَيِ ٱلنَّهَارِ وَزُلَفًا مِّنَ ٱلَّيۡلِۚ إِنَّ ٱلۡحَسَنَٰتِ يُذۡهِبۡنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ﴾.

من أعظم ما ينبغي أن نتواصى به لحفظ المجتمع من المنكرات (إقامة الصلوات).

إذا ضُيعت الصلوات انفتحت أبواب المنكرات: ﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعۡدِهِمۡ خَلۡفٌ أَضَاعُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُواْ ٱلشَّهَوَٰتِۖ فَسَوۡفَ يَلۡقَوۡنَ غَيًّا ٥٩﴾[مريم:٥٩]

أثر الرفق في معالجة الأخطاء، واللين في إسداء النصيحة، فرسول الهدى ما عاتب وزجر، ولا عبَسَ وبَسَر حين سمع الخبر، وإنما ترفَّق وتأنَّى، ووجَّه ونصح بكلمات ملؤها العطف والرحمة، فكان لهذه الكلمات أثرها، وهكذا الرفق ما كان في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه، وفي محكم التنزيل:

﴿وَلَوۡ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلۡقَلۡبِ لَٱنفَضُّواْ مِنۡ حَوۡلِكَۖ﴾ [آل عمران: ١٥٩]

أثر القصة في حياتي

كلما وَسْوَسَ لي الشيطان، أتذكَّرُ عظمةَ الرحمن، حتى لا أَقَعَ في الإثم والعُدوان.

قال بلال بن سعد: لا تنظُرْ إلى صِغَر الخطيئة، وانظُرْ إلى عِظَمِ مَن عَصيتَ.(١)

لا أقنطُ من رحمة الله مهما عظُمَ ذنبي: ﴿قُلْ يَٰعِبَادِيَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ﴿٥٣﴾ وَأَنِيبُوٓا۟ إِلَىٰ رَبِّكُمْ﴾ [الزمر: ٥٣، ٥٤]

أَعتقدُ أن الرجولة الحقيقية في مخالفة هوى النفس والتغلب على شهواتها.

لا أستصغرُ ذنبًا ولا أحتقرُ معصيةً حتى لا تعظُم عند الله.

إذا غَلَبَتْني نفسي على ذَنْبٍ لا أُجاهر به، بل أستتر بستر الله نادمًا عازمًا على التوبة.

إذا أذنبتُ ذنبًا أُتْبِعُهُ بفعل طاعة فورًا، متمثلاً قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلْحَسَنَٰتِ يُذْهِبْنَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ۚ ذَٰلِكَ ذِكْرَىٰ لِلذَّٰكِرِينَ﴾.

أَجتهدُ في الطاعات وأُكثرُ من الحسنات، ليحفظني اللهُ من السيئات والمنكرات.

أُحصِّنُ نفسي من المنكرات والشهوات بالمحافظة وإتقان الصلوات، قال تعالى: ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ ۖ إِنَّ ٱلصَّلَوٰةَ تَنْهَىٰ عَنِ ٱلْفَحْشَآءِ وَٱلْمُنكَرِ ۗ﴾ [العنكبوت: ٤٥]

أبتعدُ عن مواطن الفتن حتى يسلم لي ديني وقلبي، فالسعيد لمن جنب الفتن ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ٱلَّذِينَ يَخُوضُونَ فِىٓ ءَايَٰتِنَا فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ حَتَّىٰ يَخُوضُوا۟ فِى حَدِيثٍ غَيْرِهِۦ ۚ وَإِمَّا يُنسِيَنَّكَ ٱلشَّيْطَٰنُ فَلَا تَقْعُدْ بَعْدَ ٱلذِّكْرَىٰ مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٦٨﴾﴾ [الأنعام: ٦٨]

لا أَقْنَط ولا أُقنِّطُ عاصيًا من رحمة الله، وأَفتح باب التفاؤل والتوبة أمام التائبين العائدين إلى الله.

(١) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد(٧١)، وأحمد في الزهد(٢١٠٤)

إرشادات للمربي

ناقش مع طلابك مسألة بشرية الصحابة وبيِّن لهم أوجه الاختلاف بيننا وبينهم من الجهة الإيمانية، والاتباع والانقياد فهم حملة الرسالة لمن بعدهم.

حاول أن تستحضر مع طلابك عدد وقائع الزنا التي نُقِلَتْ لنا عن مجتمع الصحابة، وقارن بين هذا المجتمع والمجتمعات التي تدَّعي الحضارة ليعلم الطلاب من المتحضر؟!.

عزز عند طلابك قيمة الاعتراف بالخطأ وأن ذلك لا ينقص قدر الإنسان بل يزيده، بإيراد الأدلة وضرب الأمثلة على ذلك.

قم بعمل جدول أسبوعي لعدد من الأعمال التي تحصل بها الحسنات خاصة الصلوات ووزعه على الطلاب، وتابعهم باستمرار.

ناقش مع طلابك خطورة استصغار الذنوب والتمادي فيها.

١١

فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ ؟

في عام (١٩٢٠ م) صدَرَ قرارٌ حكومي رسمي بمنع الخمور نهائيًّا في أمريكا (أُمِّ الحضارة)، وسُخِّرَتْ لتطبيقه كلُّ الجهود الممكنة سياسيًّا واجتماعيًّا وإعلاميًّا، وأُنفقت الملايين من الدولارات، ومع كل هذه الجهود والنفقات والحشدِ الإعلامي لتطبيقِ القرار إلا أن المجتمعَ جابهه برفضٍ شديدٍ، وقابَلَه بامتناعٍ غاضبٍ، وصادَمَه بمظاهراتٍ عارمةٍ، مما أدَّى إلى إلغاء القرارِ رسميًّا في عام ١٩٣٣م .

وعلى الجانب الآخر؛ نزلَ أمرٌ رباني في مدينة النبي ﷺ بتحريم الخمر:

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡخَمۡرُ وَٱلۡمَيۡسِرُ وَٱلۡأَنصَابُ وَٱلۡأَزۡلَٰمُ رِجۡسٞ مِّنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِ فَٱجۡتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ٩٠ إِنَّمَا يُرِيدُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَن يُوقِعَ بَيۡنَكُمُ ٱلۡعَدَٰوَةَ وَٱلۡبَغۡضَآءَ فِي ٱلۡخَمۡرِ وَٱلۡمَيۡسِرِ وَيَصُدَّكُمۡ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَعَنِ ٱلصَّلَوٰةِۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّنتَهُونَ ٩١ ﴾ [المائدة: ٩٠ - ٩١]

فما الذي حدث ؟

وما حجمُ النفقات التي أنفقت ؟

وكم عدد الضحايا من المعترضين ؟

***

القصة

عَنْ أَنَس بنِ مالكٍ رضي الله عنه قَالَ: كُنْتُ أَسْقِي القومَ الخمرَ فِي مَنْزِلِ أَبِي طَلْحَةَ (أَبَا عُبَيْدَةَ بْنَ الْجَرَّاحِ وَأَبَا طَلْحَةَ وَأُبَيَّ بْنَ كَعْبٍ وَأَبَا دُجَانَةَ، وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ وَسُهَيْلَ بْنَ بَيْضَاءَ فِي رَهْطٍ مِنَ الْأَنْصَارِ) حَتَّى كَادَ الشَّرَابُ أَنْ يَأْخُذَ فِيهِمْ، فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي: « أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ »، فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ : اخْرُجْ فَانْظُرْ مَا هَذَا الصَّوْتُ، قَالَ: فَخَرَجْتُ فَقُلْتُ: هَذَا مُنَادٍ يُنَادِي : « أَلاَ إِنَّ الخَمْرَ قَدْ حُرِّمَتْ ». فَمَا قَالُوا: مَتَى ؟ أَوْ حَتَّى نَنْظُرَ وَنَسْأَلَ !.

فَقَالَ لِي أَبُو طَلْحَةَ، وفي لفظ (فقالوا) : اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا يَا أَنَس، قَالَ : فَأَهْرَقْتُهَا، وَكَفَأَ النَّاسُ آنِيَتَهُمْ بِمَا فِيهَا (فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ) حَتَّى كَادَتِ السِّكَكُ أَنْ تُمْتَنَعَ مِنْ رِيحِهَا.

وفي رواية: فَقَالَ أَبُو طَلْحَةَ: يَا أَنَسُ، قُمْ إِلَى هَذِهِ الجِرَارِ فَاكْسِرْهَا، قَالَ أَنَسٌ : فَقُمْتُ إِلَى مِهْرَاسٍ[1] لَنَا فَضَرَبْتُهَا بِأَسْفَلِهِ حَتَّى انْكَسَرَتْ.

قَالَ أنسٌ: فَوَاللهِ مَا رَاجَعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ.[2]

(١) المِهراس: إناءٌ مستطيل يُتَّخَذ مِن صَخْر، والظاهر أنهم كانوا يعصرون الخمر فيه، وكأن أنسًا لم يجد ما يكسر به الجرار غيره، أو أنه كسر بآلة (المهراس) التي يُدَقّ بها وهي مثل المِطرقة. راجع فتح الباري لابن حجر (١٠/ ٣٩) وشرح الزرقاني على الموطأ (٤/ ٢٧٤)وغيرهما.
(٢) رواه أحمد (١٢٨٦٩) والبخاري (٢٤٦٤) و (٤٦٢٠) و (٥٥٨٢) و (٧٢٥٣) ومسلم (١٩٨٠) وغيرهم.

إضاءات على القصة

◆ تحريم الخمر

كان الخمر مباحًا في أول الإسلام حتى تمكَّن الإيمان من قلوب الصحابة، فنزل تحريمه فصار محرمًا بالكتاب والسنة والإجماع.(١)

◆ منهجية التدريج في الأحكام

تقول عائشة رضي الله عنها: إنَّ أَوَّلَ مَا نَزَلَ مِن القرآن سُورٌ مِنَ المُفَصَّل، فِيهَا ذِكْرُ الجَنَّةِ وَالنَّارِ، حَتَّى إِذَا ثَابَ(٢) النَّاسُ إِلَى الإِسْلَامِ نَزَلَ الحَلَالُ وَالحَرَامُ، وَلَوْ نَزَلَ أَوَّلَ شَيْءٍ: لَا تَشْرَبُوا الخَمْرَ، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الخَمْرَ أَبَدًا، وَلَوْ نَزَلَ: لَا تَزْنُوا، لَقَالُوا: لَا نَدَعُ الزِّنَا أَبَدًا.(٣)

◆ تغلل الخمر في المجتمع

لم تكن الخمر مجرد شراب يشربه مَن يهواه وحَسْب، بل كانت تجارة الخمر من أكبر التجارات في ذلك الوقت، لذلك لما سكبوها سالت في سكك المدينة.

◆ وسائل الإعلام في المجتمع المدني

بمجرد نزول التشريع في القرآن يُرسل النبي ﷺ رجلاً من آحاد الصحابة لِيُنادي في الناس ويُعلمُهم بما نزل من التشريع والأحكام، والشيء الذي يُثير الدهشة والعجب أن المجتمع بأكمله يتجاوب ويُسارع في الامتثال، كما وصف لنا أنس رضي الله عنه: فَمَا قَالُوا: مَتَى؟ أوْ حَتَّى نَنْظُرَ وَنَسْأَلَ!.

◆ زمن السرعة

- السرعة في التبليغ: فَنَزَلَ تَحْرِيمُ الخَمْرِ، فَأَمَرَ رَسُولُ اللهِ ﷺ مُنَادِيًا يُنَادِي..
- والسرعة في التنفيذ: فقالوا: اذْهَبْ فَأَهْرِقْهَا يَا أَنَس قَالَ: فَأَهْرَقْتُهَا، وَكَفَأَ النَّاسُ آنِيَتَهُمْ بِمَا فِيهَا «فَجَرَتْ فِي سِكَكِ المَدِينَةِ» .

(١) الإجماع لابن المنذر (١١٧)، والإقناع في مسائل الإجماع لابن القطان (١/ ٣٢٧)
(٢) أي رجع الناس إلى الدين واجتمعوا عليه.
(٣) رواه البخاري (٤٩٩٣)

دلالات القصة

سؤال للمُنصفين: أيّ الفريقين أحقُّ بوصف التحضُّر والتمدُّن «الأمريكان» أم «الَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ» ؟!.

بآية واحدة انتهت قضية عجزت الدُّولُ العظمى عن محاربتها بكل السبل المتاحة.

القضاء على ظاهرة خطيرة في المجتمع (مثل الخمر) كم يُكلِّف الدول والحكومات من النفقات والتحديات، ما أجمل الإيمان إذا تمكَّن من القلوب، وما أسرع أثره الإيجابي.

بهذه السرعة العجيبة في الامتثال، استحق الصحابة أن يكونوا خير هذه الأمة بعد نبيها ﷺ.

من كان منكم متأسيًا فليتأسِ بأصحاب محمد ﷺ فإنهم كانوا أبرّ هذه الأمة قلوبًا ، وأعمقها علمًا ، وأقلها تكلفًا ، وأقومها هديًا ، وأحسنها حالًا، قومًا اختارهم الله تعالى لصحبة نبيه ﷺ ، فاعرفوا لهم فضلهم واتبعوهم في آثارهم؛ فإنهم كانوا على الهدى المستقيم. (١)

لم يَقُل أحدُهم: دعني أُفكِّر .. أو أمهلني لأنظر، وإنما قالوا: انتهينا انتهينا.

لم يكن هناك توسلاتٌ وإعفاءاتٌ واستثناءاتٌ أو تأجيل، حتى يتعودوا على هذا الأمر، لا ... بل قد كُسرت أوعية الخمر، وسُكبت في شوارع المدينة تنفيذًا لأمر الله ورسوله ﷺ.

إنه الانقياد الكامل والتسليم التام لأمر الله وسوله ﷺ: فَوَاللهِ مَا رَاجَعُوهَا، وَلَا سَأَلُوا عَنْهَا بَعْدَ خَبَرِ الرَّجُلِ؟!.

إنْ تحاورتَ اليوم مع مدخن، أو مقيم على معصية قال لك : أنا مدمن منذ سنوات فكيف أتركه ؟ وكيف أتغلب على نفسي؟

إذا أصلحنا قلوبنا و زكَّينا أنفسَنا، سَهُل علينا القبول والرضا بأمر الله تعالى وحكمه.

(١) لا بأس به . أخرجه ابن عبد البر في جامع بيان العلم (١٨١٠) والهروي في ذم الكلام(٧٤٦) من طرق عن قتادة عن ابن مسعود به. وأخرجه أبو نعيم في الحلية (١/ ٣٠٥) من طريق عمر بن نبهان عن الحسن البصري عن عبد الله بن عمر رضي الله عنه به.

تأمل : قولهم لأنس: «أَهْرِقْهَا .. اكْسِرْهَا» لأن بهذا الحزم والحسم يُقطع دابر الشهوة التي أَدْمَنَتْها النفس، حتى لا تُفكِّر في الرجوع إليها مرة أخرى.

من الضرورات التي جاء الإسلام بحفظها (العقل) لذلك نزل القرآن بتحريم الخمر.

من رحمة الله بعبادة التدرج في الأحكام الشرعية حتى يَسهُل على الناس امتثالها.

في نداء الله تعالى لمن يشربون الخمر ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ﴾ ولم يقل (فسقوا أو فجروا) رسالة مهمة للآباء والدعاة والمربين؛ انتقوا ألفاظكم، فالحقُّ ثقيل على النفوس فخففوه بحسن أخلاقكم.

في القصة دليلٌ على صحة العمل بخبر الواحد العدل سواء في الأحكام أو العقائد، وهذا ما عليه أهل العلم المعتبرين، لأن النبي ﷺ أرسل رجلاً واحدًا ليبلغ الحكم للناس.[1]

أثر القصة في حياتي

القصة تناديني :

عقلك نعمة فاعرف قيمته وحافظ عليه من كل ما يحجبه عن معرفة الحق.

من تمام «العبودية» لله، أن تسارع في الامتثالِ لأمر الله متغلبًا على (هواك الآثم) وداحرًا لـ (شيطانك الغاشم)، قال تعالى : ﴿ثُمَّ جَعَلْنَٰكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ ٱلْأَمْرِ فَٱتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَآءَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿١٨﴾﴾ [الجاثية: ٨١]

لا تتباطأ.. لا تتلكأ.. لا تتردد .. لا تتذرع بـ «خلافِ الفقهاء» .. لا تتحجج بـ (نزاعِ العلماء) وأنتَ تعلمُ - يقينًا في نفسك - أنك إنما تركبُ «مطيةَ الهوى» وتتّزرُ بلباس (الشهوات).

(١) راجع شرح النووي على مسلم (١٣/ ١٥٠)

قال الأوزاعي : عليكَ بآثار السَّلَف وإن رفضكَ الناسُ ، وإياك وآراءَ الرجال وإن زخرفوها لك بالقول ، فإن الأمر ينجلي، وأنت على طريق مستقيم. (١)

دعكَ ممن يقول : (اختلفوا) أجبني بصراحةٍ: إذا قام الناس لرب العالمين، ونُصبت الموازين، وتطايرتْ الصحف،.. فأين يكونُ (الغناء - التبرج، السفور- الاختلاط بين الرجال والنساء) أفي ميزانِ الحسنات ؟ أم في ميزانِ السيئات ؟

نظرك إلى عظمة الآمر والناهي هي الفيصل في التحدي الذي بينك وبين أيّ معصية. قال بلال بن سعد: لا تنظر إلى صغر الخطيئة، ولكن انظر من عصيت.(٢)

لا يغرنك تغيير المسميات؛ يسمون الخمور(مشروبات روحية) فإن ذلك لا يغير الحكم الشرعي.

اصرخْ بأعلى صوتك كما فعل صحابةُ نبينا ﷺ: انتهينا انتهينا. عن كل ما حرّمه ربي.

ذكْرُك للإيجابيات وتنميتها أعظم وسائل معالجة الأخطاء مع مَن تربيه وتعلِّمه.

إذا أدمنتْ النفس ذنبًا وأُشرِبَتْ حُبَّه فلابد مِن «أَهْرِقْهَا .. اكْسِرْهَا»، وشاهد ذلك في القرآن: لما عبدت بنو إسرائيل العجل وأُشربَتْه قلوبهم، قال موسى عليه السلام: ﴿لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا﴾ [طه: ٩٧]

قال السعدي: أراد موسى عليه السلام إتلاف العجل وهم ينظرون، على وَجْهٍ لا تُمكن إعادته (بالإحراق والسحق وذريه في اليم ونسفه)، ليزول ما في قلوبهم مِن حُبِّه، كما زال شَخْصُه، ولأن في إبقائه محنة، لأن في النفوس أقوى داعٍ إلى الباطل.(٣)

(١) حسن: أخرجه الآجري في الشريعة(١٢٧)، والهروي في ذم الكلام (١١٦)
(٢) صحيح: أخرجه ابن المبارك في الزهد(٧١)، وأحمد في الزهد(٢١٠٤) من طريق الأوزاعي قال: سمعت بلال بن سعد رضي الله عنه به.
(٣) تفسير السعدي (ص: ٥١٢)

القصة علمتني

- ابتعادك عن العادات السيئة والتخلص منها سهل لمَن استعان بالله فاستعن بالله ولا تعجز.
- القلب إذا استنار بالإيمان سهُل عليه تنفيذ أوامر الرحمن؛ فاشحن قلبَكَ بالإيمان.
- الإدمان ليس مشكلة؛ المشكلة الحقيقية في القناعة الداخلية والاستعداد للتغيير، فهل فعلاً أنا مستعد ؟.
- أسلوب التبكيت والتحقير من المخطئ، أسلوب فاشل وينتج شخصية انهزامية ضعيفة.
- قوة الشخصية : أنك إذا أقلعتَ عن ذَنبٍ لم تعدّ إليه ولم تراجعه مرة ثانية.
- التدرج في التربية والتوجيه : منهج رباني يقود النفوس راغبة لاتباع شرع ربها.

إرشادات للمربي

- كلِّف طلابك بجمع الأدلة التي تُبيِّن مفاسدَ الخمر وخطورتها على الفرد والمجتمع.
- ناقش طلابك في أهمية العقل وكيف نشكر هذه النعمة.
- ناقش طلابك في الضرورات الخمس التي جاء الإسلام بحفظها.
- بيِّن لطلابك أهمية بناء القناعات الداخلية وتأثيرها على مسار حياتهم.

الآن أفعل

هل سمعتَ عن مشكلة أُسرية بلغتْ من صعوبتها أنْ تُطَلَّقَ المرأةُ ثم يُقسِمُ وليُّها يمينًا أن لا تعود وَلِيَّتُه إلى زوجها أبدًا، ثم تُحَلُّ هذه المشكلة في جلسة لم تستغرق دقائقَ معدودات ؟

***

القصة

عَنْ مَعْقِلِ بْنِ يَسَارٍ الْمُزنِيِّ ﷺ قَالَ: زَوَّجْتُ أُخْتًا لِي مِنْ رَجُلٍ فَطَلَّقَهَا، حَتَّى إِذَا انْقَضَتْ عِدَّتُهَا جَاءَ يَخْطُبُهَا، فَقُلْتُ لَهُ: زَوَّجْتُكَ وَأَكْرَمْتُكَ، فَطَلَّقْتَهَا، ثُمَّ جِئْتَ تَخْطُبُهَا، لاَ وَاللهِ لاَ تَعُودُ إِلَيْكَ أَبَدًا، وَكَانَ رَجُلًا لاَ بَأْسَ بِهِ، وَكَانَتِ المَرْأَةُ تُرِيدُ أَنْ تَرْجِعَ إِلَيْهِ، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ﴾ [البقرة: ٢٣٢]، إِلَى آخِرِ الآيَةِ(١)، فَدَعَاهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ فَقَرَأَ عَلَيْهِ، فَتَرَكَ الحَمِيَّةَ وَاسْتَقَادَ لِأَمْرِ اللهِ فَقُلْتُ: الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ، قَالَ: «فَزَوَّجَهَا إِيَّاهُ».(٢)

وفي رواية : أن معقلاً لما قرأ عليه النبي ﷺ قال «سَمْعٌ وَطَاعَةٌ، فَزَوَّجْتُهَا إِيَّاهُ وَكَفَّرْتُ عَنْ يَمِينِي».(٣)

(١) معنى العضل: منع المرأة من التزويج بكفئها إذا طلبت ذلك، ورغب كل واحد منهما في صاحبه. المغني لابن قدامة (٧/ ٢٤)
(٢) البخاري(٥١٣٠، ٥١٣١)
(٣) عند أبي داود الطيالسي(٩٧٢)، وأبي داود السجستاني(٢٠٨٧) من طريق عباد بن راشد ومبارك بن فضالة عن الحسن حدثني معقل به .

إضاءات على القصة

◆ مَن هو مَعقِل بن يسار؟

هو مَعْقِل بنُ يَسار بن عبد الله المُزَني البصري صحابي جليل من صحابة النبي ﷺ، أسلم قبل صلح الحديبيّة، وهو من أهل بيعة الرضوان، ومن رواة حديث النبي ﷺ، ولَّاه أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه ولاية البصرة، ومن أعماله العظيمة في ولايته حفر نهر معقل، وقد مات بالبصرة في خلافة معاوية بن أبي سفيان رضي الله عنهما.(١)

◆ التجرد في رواية القصة

عَرَضَ معقل بن يسار القصةَ ورواها لمَن بعده لنشر العلم والفائدة ولكنه أبهم اسم الزوج لكي لا يُجرح أحدًا ولا يطعن في أحد وهذا هو دأب الصالحين أنهم ينشرون الخير ويسكتون عن الشر.

دلالات القصة

- بيانُ شمول الشريعة الإسلامية واستيعابِ أحكامِها لكلِّ مناحي الحياة.
- حمايةُ الشريعة الإسلامية لحقوق المرأة ومنْعِ التَّعدي عليها ولو مِن أقرب الناس إليها.
- المشاكل الأسرية واقعٌ؛ فلنبحث عن الحلول؛ ولا حلَّ أفضل مِن الرجوع إلى الشرع.
- لا يخلو بيتٌ في الدنيا من الخلافات الزوجية، ولكنها في بيوت الصالحين أقلّ وقوعًا، وأسْلَمُ أثرًا، قال النبي ﷺ: « إِنَّ الشَّيْطَانَ قَدْ أَيِسَ أَنْ يَعْبُدَهُ الْمُصَلُّونَ فِي جَزِيرَةِ الْعَرَبِ، وَلَكِنْ فِي التَّحْرِيشِ بَيْنَهُمْ ».(٢)

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر(٣/ ١٤٣٢) وأسد الغابة لابن الأثير(٤/ ٤٥٦) والإصابة في تمييز الصحابة لابن حجر (٦/ ١٤٧)

(٢) رواه مسلم (٢٨١٢) من حديث جابر بن عبد الله رضي الله عنهما.

وقوع الطلاق لا يعني الظلم والاعتداء، فقد يكون حلالاً إذا تعذَّرتْ غيره من الحلول، ولقد طلَّق النبي[1] ﷺ وطلّقَ الصحابة رضي الله عنهم.

إضاءة

اعتقادٌ جازم

أسرعُ الحلول للمشاكل الأسرية هو الانقياد التام والتحاكم للوحي المعصوم.

بمثل هذه العقول الحكيمة تعالج المشكلات الأسرية، بعيدًا عن المحاكم والمجالس..و..و..

خطورة التسرع في التلفظ بالطلاق، فكم هُدمتْ بيوت وتقَطَّعَتْ أواصر وعلاقات.

لا ينبغي لأولياء أمر المرأة منعها أو التفريق بينها وبين زوجها الذي طلقها بسبب بعض الخلافات أو الشجار الذي قد يحدث في أيِّ بيتٍ وأسرة، خاصة إذا كان الزوج رجلاً صالحًا والمرأة تُحب الرجعة إليه.

تنتهي المشاكل الأسرية، إذا كان تدخُّل أهل الزوجين بحكمة وتوجيه وإصلاح.

اسْأَلْ في المحاكم والمجالس العرفية عن حجم المشاكل الأسرية، وعن الجهود التي تُبذل والأموال التي تُنفق، مع أنها مِن الممكن أن تنتهي بآية من كتاب الله، أو حديث عن رسول الله ﷺ !.

إذا حدث الطلاق فليس هو نهاية الحياة، بل ربما تعود العلاقات بين الزوجين أفضل مما كانت عليه، فاحذروا التشاؤم.

الطلاق ليس مبررًا للعداوة وقطع العلاقات ولا مبررًا للظلم ولا الوقوع في الأعراض. قال تعالى : ﴿وَلَا تَنسَوُا۟ ٱلْفَضْلَ بَيْنَكُمْ﴾ [البقرة: ٢٣٧]

إذا علم الله تعالى الرغبة الصادقة والإرادة الحقيقة من الزوجين المتهاجِرَين في الصلح هيأ لهما الأسباب.

فقلوب الزوجين المتهاجِرَين بين إصبعين من أصابع الرحمن؛ متى أذن لها بالهداية والوئام جاءت الحلول سريعة بلا مقدمات.

---

(١) صحيح: أخرجه الدارمي (٢٢٦٤)، وأبو داود(٢٢٨٣)، وابن ماجه(٢٠١٦)، وعبد بن حميد في المنتخب(٤٣) من طرق عن يحيى بن زكريا بن أبي زائدة، عن صالح بن صالح، عن سلمة بن كهيل، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، عن عمر رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ طَلَّقَ حَفْصَةَ، ثُمَّ رَاجَعَهَا.

أدبُ الصحابة والسلف مع كلام اللَّه وحكمه

فسماع الآية كان كافيًا في الاتباع والانصياع لحكم الله، ولم يَحتج مَعقِل إلى الجدال والمناقشة والإقناع.

- هكذا الصالحون إذا ذُكِّروا بآيات ربهم: «سَمْعًا لِرَبِّي وَطَاعَةً».

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ لَمْ يَخِرُّوا۟ عَلَيْهَا صُمًّا وَعُمْيَانًا ﴿٧٣﴾﴾ [الفرقان: ٧٣]

وقال تعالى عنهم: ﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوٓا۟ إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا۟ سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا ۚ وَأُو۟لَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ﴿٥١﴾﴾ [النور: ٥١]

- بخلاف المنافقين والفاسدين، فحالهم ومقالهم الجدال والصد: قال تعالى عنهم: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا۟ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ رَأَيْتَ ٱلْمُنَـٰفِقِينَ يَصُدُّونَ عَنكَ صُدُودًا ﴿٦١﴾﴾ [النساء: ٦١]

«الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ» نموذج رائع في الاستجابة يدعو المجتمع للحياة بشرع الله الذي فيه الأمان والخير والسعادة والسكينة وسلامة العلاقات.. ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱسْتَجِيبُوا۟ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ ۖ وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ ٱلْمَرْءِ وَقَلْبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [الأنفال: ٢٤]

«أُزَوِّجُكَ وَأُكْرِمُكَ» إكرامًا وإجلالًا لكلام ربي؛ هكذا يفعل القرآن بأهل الإيمان.

ليس للمؤمن ولا المؤمنة خيار أمام شرع الله وحكم الله إلا الإذعان والتسليم للخالق العظيم والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه؛ ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمْرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ۗ وَمَن يَعْصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَـٰلًا مُّبِينًا ﴿٣٦﴾﴾ [الأحزاب: ٣٦]

يجب على المؤمن أن يكون وقَّافًا عند كلام الله، مِطْواعًا لأوامر الله ورسوله ﷺ.

أُمرنا بالإنصاف والعدل عند الخصام، فبالرغم من أن معقل بن يسار رضي الله عنه مُنزعج من طلاق أُخته، ومُتضايق من صهره لأنه قابل إحسانه بالإساءة، إلا أنه يشهد له بقوله: وَكَانَ رَجُلًا لَا بَأْسَ بِهِ.

ما أجمل الإنصاف خاصة عند الخلاف!

أحكام متعلقة بالآية

معنى الآية : ﴿وَإِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَبَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ إِذَا تَرَاضَوْا بَيْنَهُم بِالْمَعْرُوفِ﴾ [البقرة: ٢٣٢]

نزلت هذه الآية في الرجل يطلق امرأته تطليقة أو تطليقتين، فتنقضي عدتها، ثم يبدو له في تزويجها وأن يراجعها، وتريد المرأة فيمنعها أولياؤها من ذلك، فنهى الله سبحانه أن يمنعوها.(١)

◆ إذا وقع الطلاق وانقضت عدة المرأة ولم يراجعها زوجها :

أ إذا كان الطلاق رجعيًّا (الطلقة الأولى أو الثانية) صارت المرأة أجنبية عن الزوج حكمها حكم سائر النساء الأجنبيات فلا يصح رجعتها إلا بعقد جديد صحيح مستوفي الشروط من ولي وشهود ورضى وصداق.

ب أما إذا كان الطلاق باتًّا بائنًا (الطلقة الثالثة) فلا تحلُّ لزوجها الأول حتى تتزوج زوجًا غيره بنكاح صحيح مستوفٍ لكل أركانه.

◆ مدة عدة المطلقة طلاقًا رجعيًّا:

أ تعتد المرأة المطلقة التي تحيض ثلاثة قروء، لقوله تعالى: ﴿وَالْمُطَلَّقَاتُ يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ ثَلَاثَةَ قُرُوءٍ﴾ [البقرة: ٢٢٨]

واختلف العلماء في معنى القُرء : فقال بعضهم الطُهر، وقال آخرون: الحيض.(٢)

ب من لم تحض أو انقطع حيضها فتعتد ثلاثة أشهر، لقوله تعالى: ﴿وَاللَّائِي يَئِسْنَ مِنَ الْمَحِيضِ مِن نِّسَائِكُمْ إِنِ ارْتَبْتُمْ فَعِدَّتُهُنَّ ثَلَاثَةُ أَشْهُرٍ وَاللَّائِي لَمْ يَحِضْنَ﴾ [الطلاق: ٤]

ج الحامل تنتهي عدتها بوضع حملها، لقوله تعالى: ﴿وَأُولَاتُ الْأَحْمَالِ أَجَلُهُنَّ أَن يَضَعْنَ حَمْلَهُنَّ﴾ [الطلاق: ٤]

(١) تفسير الطبري [جامع البيان] (٥/ ٢٢)

(٢) القرء هو الطهر: قول مالك والشافعي وداود وأبو ثور وأحمد في رواية ، القرء هو الحيض: قول الثوري وزفر وأبو حنيفة وأحمد في رواية. والراجح الأول. والمعنى متقارب وكلاهما يدور مع الدورة الشهرية ابتداءً وانتهاءً ، فابتداء الحيض يقابله انتهاء الطهر، والعكس .

بيان منزلة الولي في عقد الزواج، فالآية وسبب نزولها من أعظم أدلة الجمهور على اشتراط إذن الولي في صحة العقد.

قال الترمذي[1]: في هذا الحديث دلالة على أنه لا يجوز النكاح بغير ولي لأن أخت معقل بن يسار كانت ثيبًا فلو كان الأمر إليها دون وليها لزوجت نفسها ولم تحتج إلى وليها معقل بن يسار وإنما خاطب الله في هذه الآية الأولياء فقال: ﴿فَلَا تَعْضُلُوهُنَّ أَن يَنكِحْنَ أَزْوَاجَهُنَّ﴾ ففي هذه الآية دلالة على أن الأمر إلى الأولياء في التزويج مع رضاهن.[2]

وجاءت السُّنَّة بالتصريح باشتراط الولي؛ فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه أَنَّ النَّبِيَّ ﷺ قَالَ: « لَا نِكَاحَ إِلَّا بِوَلِيٍّ ».[3]

قد يحلف المسلم على ترك خير، أو منع حق، بدافع غضب أو حمية، ثم يزول عنه عارض الغضب، ويرغب بإتيان الخير، فجعل الشارع له مخرجًا للعود في يمينه، وفعل ما هو خير، والرجوع إلى الأصلح والأصوب، وهذا من رغبة الشريعة في فعل محاسن الأمور، واختيار أعلاها فضلًا، وأكثرها خيرًا، وعدم التمادي في الأيمان، قال رسول الله ﷺ: « مَنْ حَلَفَ عَلَى يَمِينٍ، فَرَأَى غَيْرَهَا خَيْرًا مِنْهَا، فَلْيَأْتِ الَّذِي هُوَ خَيْرٌ، وَلْيُكَفِّرْ عَنْ يَمِينِهِ ».[4]

(١) محمد بن عيسى بن سَوْرة ، الترمذي، أبو عيسى (المتوفى: ٢٧٩هـ)
(٢) سنن الترمذي (٥/ ٢١٦)
(٣)صحيح : من حديث أبي موسى: عند ابن الجارود(٧٠١) وأحمد (١٩٥١٨) والدارمي (٢١٨٢) وأبو داود (٢٠٨٥)، الترمذي(١١٠١)، والطيالسي(٥٢٥)، وسعيد بن منصور(٥٢٧)، وابن ماجه(١٨٨١)، ومعجم ابن المقرئ (٣٧٦).
من حديث عائشة : عند عبد الرزاق (١٠٤٧٢)، وابن الجارود(٧٠٠)، وسعيد بن منصور(٥٣٤)، والشافعي في مسنده (ص٢٢٠)، وأحمد(٢٦٢٣٥، ٢٤٣٧٢)، والترمذي(١١٠٢) ابن ماجه(١٨٧٩، ١٨٨٠)، معجم ابن المقرئ (٣٧٩)
من حديث أبي هريرة عند ابن حبان (٤٠٧٦) من طريق ابن سيرين عن أبي هريرة رضي الله عنه.
(٤) رواه مسلم (١٦٥٠) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

أثر القصة في حياتي

علمني معقل بن يسار : أن علامة المؤمن الصادق تقديم أمر الله ورسوله ﷺ على هوى النفس.

تعلمت من معقل رضي الله عنه أن الرجوع إلى الحق فضيلة، فبعد أن غلبته نفسه وأخذته الحمية فأقسم ألا تعود أخته إلى زوجها أبدًا، دعاه رسول الله ﷺ وتلا عليه الآية فقال مباشرة: الآنَ أَفْعَلُ يَا رَسُولَ اللهِ.(١)

فما أجمَلَ الرجوع إلى الحق إذا تبين واتضح !

علمتني قصة معقل :

- أنَّ الشرع هو الحاكم لي في علاقتي مع ربي ومع زوجتي ومع جميع الناس.
- كلما كان الاختيار في الزواج لأجل الدين انعدمت المشاكل واطمأنت البيوت.

القصة تناديني : أَحْسِنْ اختيارَ مَن تتزوجها، بأن تكون امرأة صالحة مطيعة، وأهلها صالحين متفاهمين فإذا قدَّر اللهُ وحدث خلاف بيننا وجدنا حولنا أُناسًا عقلاء يحتوون المشاكل.

القصة تُنادي الزوجات : على المرأة المسلمة أن تحافظ على بيتها ولا تكون سببًا في خراب بيتها وتشتيت أسرتها.

القصة تنادي الأزواج : الزوجة أمانة في عنقك، فاعمل بوصية نبيك ﷺ « فَاتَّقُوا اللهَ فِي النِّسَاءِ، فَإِنَّكُمْ أَخَذْتُمُوهُنَّ بِأَمَانِ اللهِ، وَاسْتَحْلَلْتُمْ فُرُوجَهُنَّ بِكَلِمَةِ اللهِ ».(٢)

أَتَعقَّلُ وأَتَأَنَّى عند حدوث أيّ مشكلة بيني وبين زوجتي، لأنّ تكلفة المشاكل باهظة على الطرفين.

أَحْذَرُ مِن التَّسرع في إيقاع الطلاق واتقِ اللهَ في زوجتي وأولادي.

---

(١) إحدى روايات البخاري برقم (٥١٣٠)

(٢) رواه مسلم (١٢١٨) من حديث جابر بن عبد الله.

أَتَعلَّمُ الإنصافَ في مواقفي، ولا أجعلُ الخصومةَ تَقودُني إلى نُكرانِ فضائلِ الآخرين.

أَجعلُ شِعارِي مع أوامر ونواهي القرآن «سمعًا وطاعةً لربي».

أَعتقِدُ اعتقادًا جازمًا أنَّ القرآن كفيلٌ بحلّ مشاكلي؛ وكلُّ ما عليَّ أن أعرض مشكلتي على القرآن، وأرضَى وأُسلم لحكمه.

لا أجعلُ اليمينَ والحلِف حجة لي في الاستمرار في ترك طاعة أو وقوع في مخالفة شرعية، ﴿قَدْ فَرَضَ ٱللَّهُ لَكُمْ تَحِلَّةَ أَيْمَٰنِكُمْ﴾ [التحريم: ٢]

إرشادات للمربي

على المربي إعطاء صورة واقعية لطلابه عن كثرة حالات الطلاق وضررها على المجتمع.

مناقشة أهم أسباب المشكلات الأسرية وأهم وسائل علاجها.

بيِّن لطلابك شمول الشريعة الإسلامية لكل مناحي الحياة ومراعاتها للحقوق.

ما اجتمعَ في قَلَبِ عَبْدٍ قَطُّ محبةُ الغِناءِ ومَحبةُ القرآنِ إلا طَرَدَتْ إحداهُما الأُخرَى؛ وقد شاهدنا نحن وغيرُنا ثِقَلَ القرآنِ على أهل الغناء وسماعه.

[مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٤٨٧)]

الفصل الخامس
القـــرآن..
وتجاوز العقبات
قَصَصُهُم
مَعَ القُرآن

١٣

لَا تَكُنْ أَبَا جَهل!

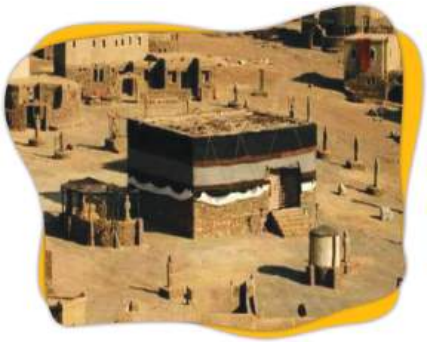

لقد غَلَبَ على أبي جهل جهلُه، فسَاءَ قولُه وفعلُه، فحين أشرقتْ شمسُ الحقِّ وسطعَ نورُها وتبيَّن طريقُها، كان المفترض أن يقول: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه؛ ولكنَّه كان للرسول معانداً، ولحقِّ ربِّه جاحداً، وللعذاب مستعجلاً.

فنعوذ بالله من الجهل ومن أمثال أبي جهل

***

القصة

عن أَنَس بْن مَالِكٍ رضي الله عنه قال :

قَالَ أَبُو جَهْلٍ: اللهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ، فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنَ السَّمَاءِ، أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ، فَنَزَلَتْ :

﴿وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾﴾ [الأنفال: ٣٣]. (١)

(١) رواه البخاري (٤٦٤٨) ومسلم (٢٧٩٦)

إضاءات حول القصة

◆ من هو أبو جهل ؟

هـو عمرو بن هشام بن المغيرة المخزومي القرشي أشـدُّ النـاس عـداوة للنّبيّ ﷺ في صـدر الإسـلام، وهو فرعون هذه الأمة الذي أضلَّ اتباعه وما هدى.[1]

أبو جهل

شريفٌ في قومه ⟷ وضيـعٌ عنـد ربـه

لُقِبَ بأبي الحَكَم ⟷ وهو رأس في الجهل

مِغوارٌ في الباطل ⟷ جبـانٌ فـي الحـق

◆ ما أعجبَ أمركم أيها المشركون؟!

قـال معاويـة لرجـل مـن أهـل اليمـن : مـا كان أحمق قومك حين قالـوا: ﴿رَبَّنَا بَٰعِدۡ بَيۡنَ أَسۡفَارِنَا﴾ [سبأ: ١٩]. أما كان جمع الشمل خيرًا لهم ؟

فقـال اليمـاني : قومُك أحمق منهم، حين قالـوا : ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾.

أفلا قالوا: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فاهدنا إليه!.[2]

(١) الأعلام للزركلي (٥/ ٨٧)

(٢) بهجة المجالس وأنس المجالس لابن عبد البر (ص: ١٦)

دلالات القصة

نموذج للخذلان في الدعاء، بدلًا من أن يقولوا: ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ﴾ (فاهدنا إليه) طلبوا تعجيل العقوبة!.

المعاندون للرسل تشابهتْ قلوبُهم فتوافقت أقوالُهم؛ كفار قريش يقولون ﴿ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلۡحَقَّ مِنۡ عِندِكَ فَأَمۡطِرۡ عَلَيۡنَا حِجَارَةٗ مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئۡتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٖ﴾ [الأنفال: ٣٢]

وكذلك قال الجهلة من الأمم السالفة، كما قال قوم شعيب له: ﴿فَأَسۡقِطۡ عَلَيۡنَا كِسَفٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ إِن كُنتَ مِنَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١٨٧﴾ [الشعراء: ١٨٧]

مع هذا الإصرار في طلب العقوبة إلا أن الله عز وجل لم يستجب لطلبهم، ولم يَعْجل بعجلتهم، لأنه سبحانه يريد لهم الخير، لذلك فهو يَحلُم عليهم، ويصبر على كفرهم وظلمهم لأنفسهم، ويعطيهم الفرصة تلو الفرصة لعلهم ينتبهون قبل فوات الأوان.

قال تعالى: ﴿وَلَوۡ يُعَجِّلُ ٱللَّهُ لِلنَّاسِ ٱلشَّرَّ ٱسۡتِعۡجَالَهُم بِٱلۡخَيۡرِ لَقُضِيَ إِلَيۡهِمۡ أَجَلُهُمۡ﴾ [يونس: ١١]

ولو يعجل الله للناس إجابةَ دعائهم في الشرّ، وذلك فيما عليهم مضرّة في نفس أو مال كاستعجاله لهم في الخير بالإجابة إذا دعوه به لهلكوا.(١)

حَمَلهم الكبرُ والعنادُ على ردِّ الحق واستعجال العذاب، ولكنَّ رحمةَ الله سبقتْ غضبَه.

فعَنْ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «لَا أَحَدَ أَصْبَرُ عَلَى أَذًى يَسْمَعُهُ مِنَ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ، إِنَّهُ يُشْرَكُ بِهِ، وَيُجْعَلُ لَهُ الْوَلَدُ، ثُمَّ هُوَ يُعَافِيهِمْ وَيَرْزُقُهُمْ».(٢)

الجهل بالله وأحكامه سببُ كل جريمة؛ وما أفلح قومٌ إمامُهم هو أبو جهل، قال شيخُ الإسلام ابن تيمية: الجهلُ بالله سُمٌّ مُهْلِك.(٣)

لو يعلم الجاهل ما عند الله من العذاب ما تَعَجَّله ولا دعا به، قال الله تعالى: ﴿وَلَوۡ يَرَى ٱلَّذِينَ ظَلَمُوٓاْ إِذۡ يَرَوۡنَ ٱلۡعَذَابَ أَنَّ ٱلۡقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعٗا وَأَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعَذَابِ﴾ [البقرة: ١٦٥]

لو علموا ما يعاينونه هنالك، وما يحل بهم من الأمر الفظيع المنكر الهائل على شركهم وكفرهم، لانتهوا عما هم فيه من الضلال.(٤)

(١) تفسير الطبري (١٥/ ٣٣)
(٢) البخاري(٦٠٩٩)، مسلم(٢٨٠٤)
(٣) شرح العقيدة الأصفهانية (ص: ١٦٦)
(٤) تفسير الطبري (٣/ ٢٨٣)، تفسير البغوي (١/ ١٧٩)، تفسير ابن كثير (١/ ٤٧٧)

إضاءة

الحقُّ ثقيل على قلوب أهل الباطل، فلا يريدون سماعه، ولا يريدون رؤية مَن يذكرهم به: ﴿أَخْرِجُوهُم مِّن قَرْيَتِكُمْ﴾ [الأعراف: ٨٢]

﴿وَإِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَحْدَهُ ٱشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ ۖ وَإِذَا ذُكِرَ ٱلَّذِينَ مِن دُونِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٥﴾﴾ [الزمر: ٤٥]

رؤية الحق وحدها لا تكفي في النجاة، لكن لابد من اتباعه وسلوك طريقه، فكم من الناس رأوا الحق وعرفوه، لكنهم تنكبوا عن طريقه، ولذا كانت وصية النبي ﷺ: « قُلْ: آمَنْتُ بِاللهِ، فَاسْتَقِمْ ».(١)

رؤية الحق واتباعه توفيق مِن الله؛ والله تعالى عليمٌ حكيم لا يضع التوفيق إلا في مواضعه اللائقة به.

إضاءة

أمانان لهذه الأمة: النبيُّ ﷺ والاستغفارُ، ذهب أحدهما (وهو النبي ﷺ)، وبقي الآخر إلى يوم القيامة (وهو الاستغفار).(٢)

الأمان الأول: يدلّ على عظيم منزلته ﷺ عند ربّ العالمين؛ فبمجرد وجوده ﷺ فيهم وبينهم، أمسك الله العذاب عنهم وأعطاهم الفرصة ليعودوا إلى رشدهم، وقد عاد منهم الكثير والحمد لله.

الأمان الثاني: يَدلّ على أنَّ عبوديةَ التوبة مِن أحبِّ العبوديات إلى الله، وأكرمها عليه، فإنه سبحانه يحبُّ التوابين والمستغفرين، ولو لم تكن التوبة أحبَّ الأشياء إليه لما ابتلي بالذنب أكرمَ الخلْق عليه.(٣)

النبي ﷺ أمانٌ لأمته في الدنيا من العذاب، وأمان لنا جميعًا يوم القيامة: « وَإِنِّي اخْتَبَأْتُ دَعْوَتِي شَفَاعَةً لِأُمَّتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ ».(٤)

---

(١) مسلم (٣٨) من حديث سفيان بن عبد الله الثقفي

(٢) حسن: أخرجه الطبري في تفسيره(١٣/ ٥١١)، وابن أبي حاتم في تفسيره(٩٠١٧) من طريق عكرمة بن عمار عن أبي زميل سماك الحنفي عن ابن عباس رضي الله عنهما به.

(٣) مدارج السالكين لابن القيم (١/ ٣٠٦)

(٤) رواه البخاري (٦٣٠٤) ومسلم(١٩٩) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه.

رسالةٌ واضحة من الله لكل من أسرف على نفسه : لا تترك الاستغفار ولو كثُرَتْ ذنوبُك.

قال الله تعالى في الحديث القدسي: «يَا عِبَادِي إِنَّكُمْ تُخْطِئُونَ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ، وَأَنَا أَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا، فَاسْتَغْفِرُونِي أَغْفِرْ لَكُمْ..»[١]

إذا كان الاستغفار أمانًا للمشركين المعاندين؛ فما ظنك بالموحدين المُنيبين؟

لا أحدَ يستغني عن الاستغفار، ولو كان إمام الأبرار وسيد الأطهار.

قال ﷺ :» وَاللهِ إِنِّي لَأَسْتَغْفِرُ اللهَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ فِي اليَوْمِ أَكْثَرَ مِنْ سَبْعِينَ مَرَّةً».[٢]

ذهب النبيُّ ﷺ وبقيتْ سنتُه عصمةً من العذاب لمن اعتصم بها.

قال رسول الله ﷺ: « إِنَّهُ مَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ بَعْدِي فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِسُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الْمَهْدِيِّينَ الرَّاشِدِينَ، تَمَسَّكُوا بِهَا وَعَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ ».[٣]

أثر القصة في حياتي

أتعوّذ دائمًا من العناد والكبر، فالكبر هو القاسم المشترك بين رؤوس الكفر (إبليس – فرعون – أبو جهل)، لذلك: « لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبْرٍ ».[٤]

أتعرَّفُ على الله بأسمائه وصفاته لأعرف قدر حلمه ورحمته، فلم يعاجل بالعقوبة من طلبها واستعجلها ولكنه أمهلهم ولم يعاجلهم.

أُحسن الظن بربي، فالله تعالى عند ظن عبده به. قال الله تعالى في الحديث القدسي: «أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي، وَأَنَا مَعَهُ حِينَ يَذْكُرُنِي..».[٥]

أعرف منزلة النبي ﷺ عند رب العالمين؛ لأُقَدِّره قَدْرَه، وأُوقِّره حقَّ توقيره ﷺ.

أكثر من قول : «وَاهْدِنِي لِأَحْسَنِ الْأَخْلَاقِ لَا يَهْدِي لِأَحْسَنِهَا إِلَّا أَنْتَ، وَاصْرِفْ عَنِّي سَيِّئَهَا لَا يَصْرِفُ عَنِّي سَيِّئَهَا إِلَّا أَنْتَ».[٦]

---

(١) مسلم (٢٥٧٧) من حديث أبي ذر رضي الله عنه.

(٢) البخاري(٦٣٠٧) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه

(٣) صحيح: رواه أحمد (١٧١٤٤١، ٧١٤٢، ١٧١٤٥)، وأبو داود(٤٦٠٧)، وابن ماجه (٤٢، ٤٣) والسنة ابن أبي عاصم(٤٨) من حديث العرباض بن سارية رضي الله عنه

(٤) رواه مسلم (٩١) من حديث ابن مسعود رضي الله عنه.

(٥) البخاري(٧٤٠٥)، مسلم(٢٦٧٥)

(٦) مسلم (٧٧١) من حديث علي بن أبي طالب رضي الله عنه

القصة تناديني

- أجهل الناس مَن دعا بالعذاب أو الحرمان من الرحمة... فاحذر أن تكون منهم.
- معرفة قدر النبي ﷺ ليست كلامًا وإنما : (اتباعًا لسنته، بذلًا لدعوته، نصرة لدينه ومنهجه).
- على قدر تمسكك بسنة النبي ﷺ على قدر ما تُعطى من الأمان في الدينا والآخرة.
- أكثر من الاستغفار فهو مصدر أمنك في الدنيا وفي الآخرة.
- حدد لنفسك وِردًا من الاستغفار يوميًّا لا تتنازل عنه، وركِّز على سيد الاستغفار.
- لا تيأسنَّ من رحمة الله ولو أسرفتَ على نفسك، فباب التوبة مفتوح لكل أحد مهما كان ذنبه.
- أكثر من هذا الدعاء : اللهم أرنا الحق حقًا وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلًا وارزقنا اجتنابه.
- ولا تجعلنا يا ربنا ممن قلت فيهم : ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ [الكهف: ١٠٤]
- احذر : أن تدعو على نفسك أو على أهلك أو مالك بسوء فتندم، عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ رضي الله عنهما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « لَا تَدْعُوا عَلَى أَنْفُسِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَوْلَادِكُمْ، وَلَا تَدْعُوا عَلَى أَمْوَالِكُمْ، لَا تُوَافِقُوا مِنَ اللهِ سَاعَةً يُسْأَلُ فِيهَا عَطَاءٌ، فَيَسْتَجِيبُ لَكُمْ ».(١)

إرشادات للمربي

- ناقش طلابك في الصعوبات التي تعرَّض لها النبي ﷺ في دعوته من أمثال أبي جهل.
- تذاكر مع طلابك أهم وسائل وسبل معرفة الحق والوصول إليه.
- ساعد طلابك على أن يُحدد كلُّ واحد منهم لنفسه وردًا من الاستغفار وتابعهم فيه فترة معينة.
- اطرح على الطلاب سؤالًا: هل كل استغفار يزيل الأوزار ويمنع من عذاب الجبار ؟

(١) رواه مسلم (٣٠٠٩)

١٤

لَا يَصُدُّونَكَ عَنِ الْخَيْرِ

المُعَوِّقون لغيرهم صِنفٌ خطير وشرُّهم مستطير، فهم لا يرون إلا أنفسهم، ولا يحبون الخير إلا لذواتهم، مُتَعالين مُتَرفِّعين على غيرهم .. بارِعين في صياغة العوائق وتنميق العبارات لإجهاض برامج ومشاريع وجهود الآخرين!.

فاحذرهم أن يقطعوا عليك الطريق..

***

القصة

عَنْ أَبِي مَسْعُودٍ الْأَنْصَارِيِّ ﷺ قَالَ: لَمَّا أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ بِالصَّدَقَةِ، كُنَّا نُحَامِلُ عَلَى ظُهُورِنَا[١]، فَنَجِيءَ بِالْمُدِّ[٢] فَنُعْطِيَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ، فَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِشَيْءٍ كَثِيرٍ، فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: مُرَائِي[٣]؛ وَجَاءَ رَجُلٌ فَتَصَدَّقَ بِصَاعٍ[٤] فَقَالَ الْمُنَافِقُونَ: إِنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنْ صَاعِ هَذَا؛ فَنَزَلَتْ: ﴿ٱلَّذِينَ يَلۡمِزُونَ ٱلۡمُطَّوِّعِينَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ فِي ٱلصَّدَقَٰتِ وَٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ إِلَّا جُهۡدَهُمۡ فَيَسۡخَرُونَ مِنۡهُمۡ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنۡهُمۡ وَلَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٌ ٧٩﴾[التوبة:٧٩].[٥]

(١) أي نحمل على ظهورنا بالأجرة ونتصدق من تلك الأجرة، أو نتصدق بها كلِّها. فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٨٣)
(٢) أي في مقابلة أجرته فيتصدق به. فتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٨٤)
(٣) من الرياء، وهو أن يُظهر الإنسان في نفسه خلاف ما هو عليه؛ ليراه الناس من أجل السمعة والشهرة.
(٤) الصاع: مكيال يبلغ وزنه أربعة أمداد، والمد: ملء كفَّي الرجُل المتوسط. شرح النووي على مسلم (٨/ ١٢٢)، التوضيح لشرح الجامع الصحيح (٤/ ٣٤٧)، (ويُقدَّر الصاع بحوالي ٢١٧٥ جرامًا أو ٢,٧٥ لترًا).
(٥) رواه البخاري (١٤١٥) ومسلم (١٠١٨) وغيرهما

إضاءات على القصة

أبو مسعود الأنصاري : هو عقبة بن عمرو بن ثعلبة الخزرجي الأنصاري البدري .. مشهور بكنيته .. مِن خيار الصحابة وممن شهد بيعة العقبة الثانية .. مات بعد الأربعين من الهجرة.(١)

يقول أَبو مَسْعُودٍ ﷺ يحكي لنا ما كانوا عليه من الفقر الشديد مع حرصهم على الإنفاق في سبيل الله: كَانَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: يَأْمُرُنَا بِالصَّدَقَةِ فَمَا يَجِدُ أَحَدُنَا شَيْئًا يَتَصَدَّقُ بِهِ حَتَّى يَنْطَلِقَ إِلَى السُّوقِ، فَيَحْمِلَ عَلَى ظَهْرِهِ، فَيَجِيءَ بِالْمُدِّ فَيُعْطِيَهُ رَسُولَ اللهِ ﷺ.(٢)

المتصدق بالقليل هو: حَبْحَابٌ أبو عقيل الأنصاري ﷺ.

المتصدق بالكثير هو : الصحابي الجليل عبد الرحمن بن عوف ﷺ.(٣)

دلالات القصة

هكذا حال الصحابة ﷺ في المسارعة إلى الخيرات، كلٌّ على حسب حاله، فالغنيّ يَجودُ بالكثير، والفقير يُنفق بقدْر استطاعته. قال ﷺ: «اتَّقُوا النَّارَ وَلَوْ بِشِقِّ تَمْرَةٍ».(٤)

كَذَاكَ الفَخرُ يا هِمَمَ الرِّجَال ... تَعَالَى فانظري كيفَ التَّعالي

الصحابة خير الخلق بعد الأنبياء، ولم يأنف أحدُهم مِن أن يؤجر نفسه فيحمل على ظهره لينافس في الوصول إلى الله. ما أعظم تواضعهم ونسيانهم لحظوظ أنفسهم!.

فعَنِ المِقْدَامِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ، وَإِنَّ نَبِيَّ اللهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلاَمُ، كَانَ يَأْكُلُ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ».(٥)

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر(٤/ ١٧٥٦) وأسد الغابة لابن الأثير(٤/ ٥٥) والإصابة لابن حجر(٤/ ٤٣٢)

(٢) رواه البخاري (١٤١٦) والنسائي (٢٥٢٩)واللفظ له.

(٣) راجع معجم الصحابة للبغوي (٢/ ١٦٦) ومعرفة الصحابة لابن منده (ص: ٤٠٧) ومعرفة الصحابة لأبي نعيم (٢/ ٨٧٤) وفتح الباري لابن حجر (٣/ ٢٨٤)

(٤) البخاري(١٤١٧)، مسلم(١٠١٦) من حديث عدي بن حاتم رضي الله عنه.

(٥) البخاري(٢٠٧٢)

كم مِن متصدقٍ باليسير في حدود جهده وطاقته، وربما يحتقر الناسُ صدقتَه أو يلمزونها ولكنها تقع عند الله بموقع: «سَبَقَ دِرْهَمٌ مِائَةَ أَلْفِ دِرْهَمٍ ».[1]

قال الحسن: إذا رأيتَ الرجلَ ينافسك في الدنيا فنافسه في الآخرة[2]: ﴿وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ ٱلْمُتَنَٰفِسُونَ﴾ [المطففين: ٢٦]

قال ابن رجب[3]: صاحبُ الهِمَّة العالية والنَّفْس الشريفة التَّواقة لا يَرْضَى بالأشياء الدَّنِيَّة الفانية، وإنما هِمَّتُه المسابقةُ إلى الدرجات الباقية الزاكية التي لا تَفْنَى، ولا يَرجعُ عن مطلوبه ولو تَلِفَتْ نفسُه في طَلَبِه، ومَن كان في الله تَلَفُه كان على اللهِ خَلَفُه.[4]

اللّمز[5] محرم بل هو من كبائر الذنوب في أمور الدنيا وأما اللمز في أمر الطاعة فأشدّ حُرْمة. قال تعالى ﴿وَيْلٌ لِّكُلِّ هُمَزَةٍ لُّمَزَةٍ﴾ [الهمزة: ١]

الجزاء مِن جنس العمل؛ فمَن سخر من أهل الطاعة والإيمان، فليعلم أن الذي سيسخر منه هو الله: ﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩]

هنيئًا لك أيها المحسن فقد تَوَلَّى اللهُ تعالى الدفاعَ عنك.

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ﴾

﴿فَيَسْخَرُونَ مِنْهُمْ سَخِرَ ٱللَّهُ مِنْهُمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [التوبة: ٧٩] هذه عقوبة من يسخر مِن متصدق، فكيف بعقوبة مَن يسخر مِن: كلام الله؟ أو مِن نبيه ﷺ ؟ أو من شعيرة من شعائر الدين ؟! ﴿وَلَئِن سَأَلْتَهُمْ لَيَقُولُنَّ إِنَّمَا كُنَّا نَخُوضُ وَنَلْعَبُ ۚ قُلْ أَبِٱللَّهِ وَءَايَٰتِهِۦ وَرَسُولِهِۦ كُنتُمْ تَسْتَهْزِءُونَ ۝٦٥ لَا تَعْتَذِرُوا۟ قَدْ كَفَرْتُم بَعْدَ إِيمَٰنِكُمْ﴾ [التوبة: ٦٥، ٦٦]

---

(١) حسن : أخرجه ابن خزيمة(٢٤٤٣)، والنسائي(٢٥٢٧)، وابن حبان(٣٣٤٧)، والبزار(٨٨٩٧)من طريق صفوان بن عيسى عن ابن عجلان عن زيد بن أسلم عن أبي صالح عن أبي هريرة رضي الله عنه، وأخرجه النسائي(٢٥٢٦) وأحمد(٨٩٢٩)، وابن زانجويه في الأموال(١٣٣٦) من طريق الليث بن سعد عن ابن عجلان عن سعيد المقبري والقعقاع بن حكيم عن أبي هريرة به.

(٢) صحيح: أخرجه ابن أبي شيبة (٣٦٣٥١)، وأحمد في الزهد(٥٣٥)، وابن أبي الدنيا في ذم الدنيا(٤٦٥) من طرق عن حماد بن زيد، قال: حدثنا أيوب، قال سمعت الحسن يقول.. فذكره.

(٣) عبد الرحمن بن أحمد بن رجب ، البغدادي، ثم الدمشقي، الحنبلي (المتوفى: ٧٩٥هـ

(٤) لطائف المعارف لابن رجب (ص: ٢٤٤)

(٥) إزدراء الناس والتنقيص من شأنهم.

المُثَبِّطون نراهم في كل مكان حولنا، ليس لديهم أدوات التحفيز وشحذ الهمم، بقدر ما لديهم من ألفاظ وعبارات وأساليب وصيغ عجيبة، في تكسير الهمم وتحطيم العزيمة وإدخال اليأس في قلوب الناس، وفتح باب الفتور والعجز والكسل والقعود!.

تهديدٌ ووعيد لقطّاع الطريق إلى الله ﴿قَدْ يَعْلَمُ ٱللَّهُ ٱلْمُعَوِّقِينَ مِنكُمْ﴾ [الأحزاب: ١٨]

- هم الذين يُعوِّقون الناسَ عن نصرة الرسول ويمنعونهم بالأقوال والأفعال من ذلك.(١)
- هم المُخَذِّلُون لإخوانهم فيُعوِّقونهم بالتخذيل عن الطاعة.(٢)
- هم المثبّطون الصّارفون عن طريق الخير.(٣)

المنافقون يتّهمون المؤمنين المخلصين بما هم بريئون منه؛ بل هي من صفات المنافقين أنفسِهم، فإن الرياء والسمعة، وحُبّ المحمدة بما لم يفعلوا، ونحوها من الأخلاق المذمومة هي بضاعتهم، وفيها تجارتهم؛ كما قال القائل: رَمَتْنِي بِدائِهَا وانْسَلَتْ.(٤)

المنافقون لديهم كمٌّ هائل من الجُرأة والبشاعة ما يجعلهم يحوِّلُون أعظم إنجازات المُصْلحين إلى ساحات للسخرية بهم وتلطيخ سمعتهم!.

طالب الفردوس يجاهد نفسه على أعمال الخير ولا يلتفت إلى كلام المثبطين.

إضاءة

توجيه رائع لمن حدَّدَ أهدافَه ورَسَم طريق نجاحه، وخطَّط لأن يكون رقمًا صعبًا ورمزًا لخدمة هذا الدين وقضاياه، وإيجابيا في تعاطيه مع التحديات وأخطرها كلام المثبطين، يقول عز وجل: ﴿وَلَا يَلْتَفِتْ مِنكُمْ أَحَدٌ وَٱمْضُوا۟ حَيْثُ تُؤْمَرُونَ﴾ [الحجر: ٦٥]

(١) تفسير ابن عطية (٤/ ٣٧٥)
(٢) الروض الأنف للسهيلي(٦/ ٢٤٤)
(٣) المفردات في غريب القرآن للراغب الأصفهاني (ص: ٥٩٧)
(٤) هو مَثَلٌ يُضرب لمن يُعيرِّ صاحبَه بعيب هو فيه.

أثر القصة في حياتي

مَن نافَسَك في دِينِكَ فنافِسْه، ومَنْ نافسَكَ في دُنياك فألْقِها في نَحْرِه.

فعَنْ أَبِي صَالِحٍ، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «انْظُرُوا إِلَى مَنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ، وَلَا تَنْظُرُوا إِلَى مَنْ هُوَ فَوْقَكُمْ، فَهُوَ أَجْدَرُ أَنْ لَا تَزْدَرُوا نِعْمَةَ اللهِ» (١)

تصدّق بصدقة يوميَّة ولو كانت قليلة، فالقليل عند الله تعالى كثير، عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: « مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ(٢) تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ، وَلَا يَقْبَلُ اللهُ إِلَّا الطَّيِّبَ، وَإِنَّ اللهَ يَتَقَبَّلُهَا بِيَمِينِهِ، ثُمَّ يُرَبِّيهَا لِصَاحِبِهِ، كَمَا يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فَلُوَّهُ(٣)، حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الجَبَلِ ». (٤)

إذا أردتَ أن تكون «ناجحًا»، فالخطوة الأولى : أن تُلقيَ كلامَ الناس خلْفَ ظهْرَكَ.

أما إذا أردتَ أن تكون «فاشلاً» فاهتمَّ بكلام النَّاس وابحث عن رأيهم فيكَ.

الْزَمْ طريقَ الحقّ وإياكَ أن تُفارقه بحجة: أنك سُبقتَ، وسيرك ضعيف، وزادُك قليل ! وليكن شعارك: « أَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللهِ تَعَالَى أَدْوَمُهَا، وَإِنْ قَلَّ». (٥)

اجعل رضا الرحمن غايتك ولا تَطْلُب رضا الناس، فرِضَى الناس غايةٌ لا تُدرك.

لا تلتفت لمن يُعيقُ طريقَكَ أو يُثنِي عزيمتك، فإنَّك متى التفتَّ إلى المعوِّقين لن تصل.

اجعل شعارك مع كل مَن حولك: (التَّشجيع لا التَّثْبيط).

عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ، قَالَ: «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وَبَشِّرُوا، وَلاَ تُنَفِّرُوا»(٦).

كن مِفتاحًا للخير ولو بكلمة تشجيع أو تحفيز.

---

(١) مسلم(٢٩٦٣)

(٢) بوزن أو بقيمة. فتح الباري لابن حجر (١/ ١٥٤)

(٣) فَلُوَّهُ: مهره وهو الصغير من الخيل

(٤) رواه البخاري (١٤١٠) ومسلم (١٠١٤)

(٥) رواه البخاري (٦٤٦٤) ومسلم (٧٨٣) من حديث عائشة رضي الله عنها.

(٦) البخاري(٦٩)، مسلم(١٧٣٤)

لا تكن مثبطًا لغيرك عن فعل الخير؛ فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ قَالَ: « إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: هَلَكَ النَّاسُ فَهُوَ أَهْلَكُهُمْ ».(١)

دعوة للتشجيع والتحفيز لمبتغي عمل الخير ولو كان قليلاً :

- « لَا تَحْقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوفِ شَيْئًا، وَلَوْ أَنْ تَلْقَى أَخَاكَ بِوَجْهٍ طَلْقٍ ».(٢)
- « وَتُمِيطُ الْأَذَى عَنِ الطَّرِيقِ صَدَقَةٌ ».(٣)
- « لَا تَحْقِرَنَّ جَارَةٌ لِجَارَتِهَا، وَلَوْ فِرْسِنَ شَاةٍ ».(٤)

إعاقة الجهود وعرقلة الطموحات وتقزيم أعمال الآخرين، آفةٌ كبيرة وخطرٌ مستطير.

علاجها

- مجاهدة النفس والهوى في إخلاص النية وحبّ الخير للآخرين
- نكران الذات وازدراء النفس وكبح جماحها
- الإكثار من مطالعة سير السلف الصالح والوقوف عند أخلاق الكبار ومآثرهم وهممهم وتواضعهم ونفعهم للآخرين.

إرشادات للمربي

كلِّف طلابك بجمع بعض ثمرات إنجاز الأعمال والمسارعة في الخيرات.

اطرح على طلابك هذه الأسئلة :

- لماذا ينشغل بعض الناس بلَمْز غيرهم والتشنيع عليهم ويتركون العمل ؟
- لماذا ينقطع بعض الناس عن عمل الخير بعد أن بدأ فيه؟
- ما هي الوسائل التي تجعل الإنسان يستمر في عمل الخير مهما كَثُرَتْ المعوقات ؟

(١) رواه مسلم (٢٦٢٤). قال النووي: روي أهلكهم على وجهين مشهورين رفع الكاف وفتحها والرفع أشهر، ومعناها أشدهم هلاكا وأما رواية الفتح فمعناها هو جعلهم هالكين لا أنهم هلكوا في الحقيقة. واتفق العلماء على أن هذا الذم إنما هو فيمن قاله على سبيل الإزراء على الناس واحتقارهم وتفضيل نفسه عليهم وتقبيح أحوالهم، فأما من قال ذلك تحزنا لما يرى في نفسه وفي الناس من النقص في أمر الدين فلا بأس عليه.
وقال الخطابي: معناه لا يزال الرجل يعيب الناس وتذكر مساويهم ويقول فسد الناس وهلكوا ونحو ذلك فإذا فعل ذلك فهو أهلكهم أي أسوأ حالا منهم بما يلحقه من الإثم في عيبهم والوقيعة فيهم وربما أداه ذلك إلى العجب بنفسه ورؤيته أنه خير منهم والله أعلم. شرح النووي على مسلم (١٦/ ١٧٥)

(٢) رواه مسلم (٢٦٢٦) من حديث أَبِي ذَرٍّ ﷺ.

(٣) رواه البخاري (٢٩٨٩) ومسلم (١٠٠٩) من حديث أبي هريرة ﷺ.

(٤) رواه البخاري (٢٥٦٦) ومسلم (١٠٣٠) من حديث أبي هريرة ﷺ.

١٥

ثَبَاتٌ وَيَقِينٌ

اليقين باليوم الآخر من أهم عوامل الثبات التي تثبت المسلم في طريق سيره إلى الله، فعلى قدر ما يتمكن اليقين باليوم الآخر مِن قلبه على قدر ثباته، وبالعكس، فكلما ضَعُفَ يقين العبد باليوم الآخر كلما أعرض عن طريق الله، فوقع في ظلم نفسه وتعدَّى على الناس.

***

القصة

عَنْ خَبَّابِ بْنِ الْأَرَتِّ ﷺ قَالَ: كُنْتُ قَيْنًا[١] بِمَكَّةَ، فَعَمِلْتُ لِلْعَاصِ بْنِ وَائِلٍ السَّهْمِيِّ سَيْفًا فَجِئْتُ أَتَقَاضَاهُ[٢]، فَقَالَ: لَا وَاللهِ لَا أَقْضِيكَ[٣] حَتَّى تَكْفُرَ بِمُحَمَّدٍ!؛ قُلْتُ: لاَ أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى يُمِيتَكَ اللهُ، ثُمَّ يُحْيِيَكَ[٤]، قَالَ: وَإِنِّي لَمَبْعُوثٌ مِنْ بَعْدِ الْمَوْتِ ؟ قُلْتُ: نَعَمْ. قَالَ: فَدَعْنِي حَتَّى أَمُوتَ وَأُبْعَثَ فَسَأُوتَى مَالًا وَوَلَدًا فَأَقْضِيكَ!، فَأَنْزَلَ اللهُ: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ﴿٧٧﴾ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ﴿٧٨﴾﴾.[٥]

(١) القَيْنُ: الحدَّاد , والصائغ
(٢) أطلب منه ديني
(٣) لا أعطيك
(٤) ليس المقصود أنه يكفر حينئذ لأنه لم يرد ذلك لأن الكفر حينئذ لا يتصور فكأنه قال لا أكفر أبدًا. فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٣٠)
(٥) رواه البخاري (٤٧٣٣) ومسلم (٢٧٩٥)

إضاءات على القصة

◆ وقت حدوث القصة:

حدثت في العهد المكي .. يعني في زمن الغربة الأولى
وفي ذلك الوقت كان المسلمون في غاية الاستضعاف والإذلال والتعذيب.

◆ حال خباب في ذلك الوقت

خبابُ بن الأرتُّ أبو عبد الله التميمي، من السابقين الأولين، كان سادس ستة أسلموا على ظهر الأرض كان عبدًا لأُمِّ أَنْمار بنت سباع الخزاعية، وكانت امرأة مشركة، وتعرَّض خباب لشتَّى ألوان العذاب مِن سيدته ومن قومه، لكنه تحمَّل وصبر ابتغاء مرضاة الله.[1]

◆ الطاغية العاص بن وائل

العاص بن وائلٍ السَّهْميّ رأسٌ من رؤوس الكفر، وهو والد عمرو بن العاص الصحابيّ المشهور، وكان له قدر في الجاهلية ولم يوفق للإسلام، وكان موته بمكة قبل الهجرة وهو أحد المستهزئين ومن الذين لا يؤمنون بالبعث بعد الموت، وقد حملهم شِرْكُهم مع إنكارهم البعْثَ على الاستزادةِ في ظُلْمِ النَّاسِ وأكلِ أموالهم بالباطِلِ.[2]

◆ لماذا علَّق خباب الكفر على قضية البعث ؟

«لاَ أَكْفُرُ بِمُحَمَّدٍ ﷺ حَتَّى يُمِيتَكَ اللهُ، ثُمَّ يُحْيِيَكَ».

قال ابن حجر: الكفر لا يُتصور بعد الموت، فكأنه قال لا أكفر أبدا، والنكتة في تعبيره بالبعث تعيير العاص بأنه لا يؤمن به.[3]

---

(١) الاستيعاب لابن عبد البر (٢/ ٤٣٨) وأسد الغابة لابن الأثير (٢/ ١٤٧)
(٢) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٣٠)، وانظر الأعلام للزركلي (٣/ ٢٤٧)
(٣) فتح الباري لابن حجر (٨/ ٤٣٠)

دلالات القصة

- هكذا يترجم لنا خباب ﷺ المنهج الذي تربَّى عليه في مدرسة محمد ﷺ
  - وأهم المواد في تلك المدرسة : هو الصبر واليقين.
  - ومنهجها العملي : هو الثبات والبذل والتضحية.

- بأمثال خباب انتشر الإسلام، وبلغ أقطار الأرض.
- خباب يبيع ماله لأجل دينه؛ وبعض المسلمين اليوم: « يَبِيعُ دِينَهُ بِعَرَضٍ مِنَ الدُّنْيَا »(١)
- في القصة بيانُ جانبٍ لما لاقاه المسلمون الأوائلُ في مكةَ من المشركين، وصبْرهم على ذلك.
- فضيلةُ خبَّاب بن الأرَتِّ ﷺ وشدَّةُ تمسُّكِه بإيمانِه.

الحقُّ يعْرَف بموافقته	الحقُّ لا يُعرف
• للكتاب.	• بكثرة اتباعه.
• للسنة الصحيحة.	• ولا بشرفهم وأنسابهم.
• لفهم السلف الصالح.	• ولا بغناهم ومناصبهم.

قال ﷺ « قَدْ تَرَكْتُكُمْ عَلَى الْبَيْضَاءِ، لَيْلُهَا كَنَهَارِهَا، لَا يَزِيغُ عَنْهَا بَعْدِي إِلَّا هَالِكٌ، فَمَنْ يَعِشْ مِنْكُمْ فَسَيَرَى اخْتِلَافًا كَثِيرًا، فَعَلَيْكُمْ بِمَا عَرَفْتُمْ مِنْ سُنَّتِي وَسُنَّةِ الْخُلَفَاءِ الرَّاشِدِينَ الْمَهْدِيِّينَ، عَضُّوا عَلَيْهَا بِالنَّوَاجِذِ.. »(٢)

- موقف «خباب» مع «العاص» يبين للسائر إلى الله أنّ الطريق لا يخلو من الأذى والابتلاء، قال تعالى: ﴿ أَحَسِبَ ٱلنَّاسُ أَن يُتْرَكُوٓاْ أَن يَقُولُوٓاْ ءَامَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ ۝٢ وَلَقَدْ فَتَنَّا ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ ۖ فَلَيَعْلَمَنَّ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ صَدَقُواْ وَلَيَعْلَمَنَّ ٱلْكَٰذِبِينَ ۝٣ ﴾ [العنكبوت: ٢، ٣]

(١) رواه مسلم (١١٨) من حديث أبي هريرة ﷺ.
(٢) صحيح: رواه أحمد (١٧١٤٤، ١٧١٤٢، ١٧١٤٥) وابن ماجه (٤٣) والسنة ابن أبي عاصم(٤٨) من حديث العرباض بن سارية ﷺ.

في زمن الغربة يعلو صوت «العاص» لذلك نحتاج لثبات خباب« بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ »[1]، وهذا لا يكون إلا بالعلم الشرعي.

سأل رجلٌ الشافعي فقال: يا أبا عبد الله أيُّهما أفضل للرجل أن يُمكَّن أو يُبتلي؟

فقال الشافعي[2]: لا يُمكَّن حتى يُبتلى، فإنَّ اللهَ ابتَلي نوحًا وإبراهيم وموسى وعيسى ومحمدًا صلوات الله وسلامه عليهم أجمعين فلما صبروا مكَّنهم.[3]

بالصبر واليقين تُنال الإمامة في الدين[4]، قال تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ [السجدة: ٢٤]

مات خباب رضي الله عنه ومات العاص بن وائل؛ واللقاء بين يدي رب السماوات والأرض.

قال تعالى: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ اللَّهَ غَافِلًا عَمَّا يَعْمَلُ الظَّالِمُونَ ۚ إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمْ لِيَوْمٍ تَشْخَصُ فِيهِ الْأَبْصَارُ﴾ [إبراهيم: ٤٢]

مهنة الحداد لا تُنقص من قَدْرِ صاحبها إذا كان عدلًا تقيًّا.

فعَنِ المِقْدَامِ بن معد يكرب رضي الله عنه، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ، قَالَ: «مَا أَكَلَ أَحَدٌ طَعَامًا قَطُّ، خَيْرًا مِنْ أَنْ يَأْكُلَ مِنْ عَمَلِ يَدِهِ ...»[5]

تأمَّل ماذا طلب العاص بن وائل من خبَّاب، لتعلم ماذا يريد مِنَّا أهلُ الكفر: ﴿وَدُّوا لَوْ تَكْفُرُونَ﴾ [الممتحنة: ٢]

تمتلئ قلوب الكفار غيظًا وحنقًا وحسدًا كلما رأوا من المسلم تمسكًا بدينه وعقيدته.

الكلمة من الاستهزاء قد يتكلم بها المرء فيكتب الله له بها سخطه إلى يوم القيامة، ألا ترى وعيد الله على استهزائه بقوله: ﴿كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُ مِنَ الْعَذَابِ مَدًّا ﴿٧٩﴾﴾ [مريم: ٧٩]

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ، عَنِ النَّبِيِّ ﷺ قَالَ: « وَإِنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ، لاَ يُلْقِي لَهَا بَالًا، يَهْوِي بِهَا فِي جَهَنَّمَ»[6]

---

(١) رواه مسلم (١٤٥) من حديث أبي هريرة رضي الله عنه. ومعنى طُوبَى: فرح وقرة عين، وقيل جنَّة. وقيل: شجرة في الجنة. شرح النووي على مسلم (٢/ ١٧٦)
(٢) أبو عبد الله محمد بن إدريس بن العباس القرشي المكي (المتوفى: ٢٠٤هـ)
(٣) الفوائد لابن القيم (ص: ٢٠٨)
(٤) مجموع الفتاوى لابن تيمية(٣/ ٣٥٨)
(٥) البخاري(٢٠٧٢)
(٦) البخاري(٦٤٧٨)

سوءُ عاقبةِ مَن أنكر البعثَ بعد الموت : ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا﴾.

الجاحدون يظنون أن عطاءات الله تعالى من الأموال، والمناصب، والأولاد، محض كرامة لهم وأنهم أُعطوها لاستحقاقهم ذلك، وبالتالي يعتقدون أنهم كما استحقوها في الدنيا كذلك يستحقونها في الآخرة، ولكنَّ الله ردّ عليهم زعمهم وبيَّن زيفهم : ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۝٧٧ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَٰنِ عَهْدًا ۝٧٨ كَلَّا﴾ [مريم: ٧٧ - ٧٩]

العطاء ليس دائمًا يكون دليلًا على الرضى، بل كثيرًا ما يكون استدراجًا من الله.

فعَنْ عُقْبَةَ بْنِ عَامِرٍ الْجُهَنِيِّ، عَنْ رَسُولِ اللهِ ﷺ قَالَ: «إِذَا رَأَيْتَ اللهَ يُعْطِي الْعَبْدَ مَا يُحِبُّ وَهُوَ مُقِيمٌ عَلَى مَعَاصِيهِ فَإِنَّمَا ذَلِكَ لَهُ مِنْهُ اسْتِدْرَاجٌ» ثُمَّ قَرَأَ بِهَذِهِ الْآيَةِ ﴿فَلَمَّا نَسُوا۟ مَا ذُكِّرُوا۟ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَىْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُوا۟ بِمَآ أُوتُوٓا۟ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ۝٤٤﴾ [الأنعام: ٤٥].(١)

مسألة : يجوز للمسلم أن يعمل عند الكافر بشروط:

١ أن يكون العمل مباحًا ومشروعًا.

٢ ألا يعود على المسلم في هذا العمل أو بسببه ضرر في الدين؛ كما لو لم يسمح له صاحب العمل بأداء الصلوات أو حضور الجمع والجماعات مثلا.

٣ ألا يشتمل هذا العمل على مذلَّة أو مهانة للمسلم.(٢)

(١) صحيح: أخرجه أحمد(١٧٣١١)، الروياني (٢٦١)، الطبري في التفسير (١١/ ٣٦١)، الكنى والأسماء للدولابي(٦٠٥)، الطبراني في الكبير (٩١٣) من طرق عن حرملة بن عمران وابن لهيعة عن عقبة بن مسلم عن عقبة بن عامر رضي الله عنه به.
(٢) فتح الباري لابن حجر (٤/ ٤٥٢) بتصرف.

أثر القصة في حياتي

علّمني خباب رضي الله عنه أن:

- المسلم هو الذي يعتز بدينه وعقيدته، لا بماله وحسبه ونسبه ومنصبه.
- الوظيفة أو المنصب أو المكانة الاجتماعية ليس هي المقياس، إيمانك هو المقياس الحقيقي، ﴿إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾ [الحجرات : ١٣].
- على قدْرِ يقينك باليوم الآخر على قدْرِ ما تستعد له وتعمل لأجله وتترك لأجله.
- الله يدافع عن الذين آمنوا مهما كانوا قلة مستضعفين، فكن منهم لتنال معية الله.
- عزُّك الحقيقي في ثباتك على عقيدتك مهما كانت المغريات، فاسأل ربك الثبات.
- لا تيأسَنَّ أيها المظلوم، فإن ظنَّ الظالم أنه أفلت في الدنيا فلن يُفلت يوم القيامة: ﴿فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ ۖ إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ عَدًّا﴾ [مريم: ٨٤]
- احذر شياطين الإنس؛ لأن هدفهم الأول هو النيل من دينك وعقيدتك.
- اجعل شعارك : مَن عادى حبيبي محمدًا ﷺ فلا أواليه ولا أحبُّه.
- لا تغتر بما أُعطي الكفار والمنافقين من الدنيا فإنما هو متاع سرعان ما يزول.
- احذر أن تغرك النعمة فتهلك
- أكثر من هذا الدعاء: « اهْدِنِي وَيَسِّرِ الهُدَى لِي ».(١)

إرشادات للمربي

- ناقش طلابك في سيرة خباب رضي الله عنه واطلب منهم أن يستخرجوا منها الفوائد.
- اطرح على طلابك قضية الشهادة والوظيفة والمهنة وضوابط التأثر بها.
- كلِّف طلابك بجمع أهم أسباب ووسائل الثبات على الدين.
- بيِّن لطلابك أهمية معرفة مكايد الأعداء والحذر من الوقوع فيها.

(١) صحيح: رواه ابن أبي شيبة(٢٩٣٩٠)، والترمذي (٣٥٥١)، وابن ماجه (٣٨٣٠) من حديث ابن عباس رضي الله عنهما.

فهرس

مقدمة ٣

تمهيد ٤

الفصل الأول : القرآن وحياة القلوب ٧

كاد قلبي أن يطير ٨

بكى الشاهد فما بال المشهود عليه ؟ ١٧

ذكرت عند رب العالمين ٢٤

الفصل الثاني : القرآن والعطاء ٣٣

مالٌ رابحٌ ٣٤

ألا تحبون أن يغفر الله لكم ٤٣

ويؤثرون على أنفسهم ٥٠

الفصل الثالث : القرآن والأدب ٥٩

وأعرض عن الجاهلين ٦٠

لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ﷺ ٦٩

أينا لا يظلم نفسه ؟ ٧٦

الفصل الرابع : القرآن والتغلب على شهوة النفس ٨٣

إن الحسنات يذهبن السيئات ٨٤

فهل أنتم منتهون ؟ ٩٣

الآن أفعل ١٠٠

الفصل الخامس : القرآن وتجاوز العقبات ١٠٩

لا تكن أبا جهل ! ١١٠

لا يصدونك عن الخير ١١٦

ثبات ويقين ١٢٢